منشورات
مدرسة الإمام الحسين عليه السلام الدينية
في الصحن الحسيني الشريف

مُختصَر
مُنْيَة المُريْد
في أدب المفيد والمستفيد

تأليف

الشيخ زين الدين علي بن أحمد العاملي (الشهيد الثاني) قدس سره

إعداد وترتيب

أحمد الشيخ عبد الرضا الصافي

* **الكتاب:** ..... مختصر منية المريد
* **المؤلف:** ..... الشيخ زين الدين العاملي (الشهيد الثاني) قدس سره
* **إعداد وترتيب:** ..... أحمد الشيخ عبد الرضا الصافي
* **الناشر:** ..... مدرسة الإمام الحسين عليه السلام الدينية
* **الإخراج الطباعي:** ..... منير الحزامي
* **الطبعة:** ..... الأولى
* **سنة الطبع:** ..... المحرم الحرام ١٤٣٥هـ/ تشرين الثاني ٢٠١٣م
* **عدد النسخ:** ..... (٢٠٠٠) نسخة

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبيّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين، اللهم وفقنا وسائر المشتغلين للعلم والعمل الصالح بمحمد وآله الطاهرين.

وبعد:

فقد دعت الحاجة إلى تأليف منهج مختصر في الأخلاق التي تخص طالب العلم؛ لأهمية هذا العلم، بديلاً عن المناهج الأخلاقية الخاصة بأخلاق طلبة العلوم الدينية القديمة ولكل المراحل وبالأخص طلبة المراحل التمهيدية في الحوزة العلمية، أو ضمن مشروع الدورات التثقيفية العامة.

فرأيت أن أختصر كتاب (**منية المريد في أدب المفيد والمستفيد**) للشهيد الثاني الشيخ زين الدين علي بن أحمد العاملي قدس سره، فهذبته آخذاً بزبدته تاركاً المسائل غير المبتلى بها في زماننا، مبيناً ما يشبه بعضها في الوقت الحاضر في الهامش أو بين شارحتين، وأدغمتُ بعض الأبواب في بعض، وحذفت أبواباً كاملة لاعتقادي بعدم أهميتها في زماننا أو لعُدْم موضوعها، وقدمت

بعض المواضيع وأخرت أخرى، معتقداً أن ذلك أنسب في المنهجية للمدرِّس والطالب..

سائلاً الله العلي القدير التسديد والتوفيق، وموصياً إخوتي الأساتذة الفضلاء بالسماح والنصيحة، وأبنائي الطلبة بالوفاء والدعاء، والله ولي التوفيق.

الأقل

أحمد الشيخ عبد الرضا الصافي

كربلاء المقدسة في الخامس من المحرم الحرام

١٤٣٥هـ

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله على حبيبه وعبده ونبيه محمد، أفضلَ من عَلِم وعَلّم، وعلى آله وأصحابه المتأدبين بآدابه وسلَّم.

أما بعد:

فإن كمال الإنسان هو بالعلم، الذي يضاهئ به ملائكة السماء، ويستحق به رفيع الدرجات في العقبى مع جميل الثناء في الدنيا، ويفضل مدادُه على دماء الشهداء، وتضع الملائكةُ أجنحتها تحت رجليه إذا مشى، ويستغفر له الطير في الهواء والحيتان في الماء، ويفضل نومَةُ ليلةٍ من لياليه على عبادة العابد سبعين سنة، وناهيك بذلك جلالةً وعظماً.

لكن ليس جميع العلم يوجب الزلفى، ولا تحصيله كيف اتفق يثمر الرضا، بل لتحصيله شرائط، ولترتيبه ضوابط، وللمتلبس به آداب ووظائف، ولطلبه أوضاع ومعارف، لا بد لمن أراد شيئاً منه من الوقوف عليها، والرجوع في مطلوبه إليها، لئلا يضيع سعيه ولا يخمد جَدُّه.

وكم رأينا بغاة هذا العلم الشريف دأبوا في تحصيله، وأجهدوا نفوسهم في طلبه ونيله، ثم بعضهم لم يجد لذلك الطلب ثمرة، ولا حصل منه على غاية معتبرة. وبعضهم حصَّل شيئاً منه في مدة مديدة طويلة، كان يمكنه تحصيل أضعافه في برهة يسيرة قليلة، وبعضهم لم يزده العلم إلّا بعداً عن الله تعالى وقسوة وقلبا مظلما، مع قول الله سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾، وما كان سبب ذلك وغيره من القواطع الصادة لهم عن بلوغ الكمال إلا إخلالهم بمراعاة الأمور المعتبرة من الشرائط والآداب، وغيرها من الأحوال.

وقد رأينا في هذه الرسالة إفراد نبذة من شرائط العلم وآدابه، وما يتبع ذلك من وظائفه، نافعة إن شاء الله تعالى لمن تدبرها، موصلة له إلى بغيته إذا راعاها ونَقَشَها على صحائف خاطره وكررها، مستنبَطَة من كلام الله تعالى وكلام رسوله والأئمة عليهم السلام، وكلام أساطين الحكمة والدين والعلماء الراسخين، وسميتُها: (**منية المريد في أدب المفيد والمستفيد**).

وأنا أسأل اللهَ تعالى من فضله العميم، وجوده القديم، أن ينفع بها نفسي وخاصتي وأحبائي، ومَن يوفَّق لها من المسلمين، وأن يجزل عليها أجري وثوابي ويثبت لي بها قدم صدق يوم الدين، إنه جواد كريم.

وهي مرتَّبَة على مقدمة وأبواب وخاتمة:

أما المقدمة

فتشتمل على جملة من التنبيه على فضله من الكتاب والسنة والأثر ودليل العقل، وفضل حامليه ومتعلميه واهتمام الله سبحانه بشأنهم وتمييزهم عمن سواهم، وفيها فصول:

الفصل الأول

في فضل العلم والعلماء والمتعلمين من القرآن الكريم

الدليل الأول: اعلم أن الله سبحانه جعل العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي طراً، وكفى بذلك جلالةً وفخراً، فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**الله الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾.

وكفى بهذه الآية دليل على شرف العلم، لا سيما علم التوحيد الذي هو أساس كل علم، ومدار كل معرفة.

الدليل الثاني: قوله سبحانه في أول سورة أنزلها على نبيه محمدﷺ حيث قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ**

﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، فقد افتتح كتابه الكريم المجيد بنعمة الايجاد، ثم أردفها بنعمة العلم، حيث جعل سبحانه العلم أعلى شرف، وأول منَّة امتن بها على ابن آدم بعد خلقه وإبرازه من ظلمة العدم إلى ضياء الوجود، فلو كان ثَمَّ منَّة أو توجد نعمة بعد نعمة الإيجاد هي أعلى من العلم لما خصه الله تعالى بذلك، وصدّر به نور الهداية، وطريق الدلالة على الصراط المستقيم الآخذ بحجزة البراعة، ودقائق المعاني وحقائق البلاغة.

كما إنه تعالى ذكر أول حال الإنسان، وهو كونه علقه، مع أنها أخس الأشياء، وآخر حاله، وهو صيرورته عالماً، وهو أجلّ المراتب، فكأنه تعالى قال: كنتَ في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة، فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف والنفاسة.

وهذا إنما يتم لو كان العلم أشرف المراتب، إذ لو كان غيره أشرف، لكان ذكر ذلك الشيء في هذا المقام أولى.

ثم انه تعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وهذا يدل على أن الله سبحانه اختص بوصف الأكرمية، لأنه علم الإنسان العلم، فلو كان شيء أفضل من العلم وأنفس لكان اقترانه بالاكرمية المؤداة بأفعل التفضيل، أولى .

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**﴾. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾.

حيث بنى الله سبحانه ترتُّب قبول الحق والأخذ به على التذكر، والتذكر على الخشية. وحصر الخشية في العلماء.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾. حيث سمى الله سبحانه العلم بالحكمة، وعظّم أمر الحكمة.

الدليل الخامس: قوله سبحانه: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾. حيث رجّح العالِمين على كلّ مَن سواهم.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ**﴾، حيث قرن سبحانه أولي العلم بنفسه وملائكته.

الدليل السابع: وزاد في إكرامهم على ذلك مع الاقتران المذكور، بقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾، وبقوله تعالى: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ**﴾.

الدليل الثامن: وقال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾، ففضل العلماء على جميع الاصناف بدرجات، فوجب كون العلماء أفضل الناس.

الدليل التاسع: وقد خص الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب:

الأولى: الإيمان، حيث قال: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِه**﴾.

الثانية: التوحيد، حيث قال: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ**﴾.

الثالثة: البكاء والخشوع، حيث قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**﴾.

الرابعة: الخشية، حيث قال: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾.

الدليل العاشر: وقال تعالى مخاطباً لنبيه آمراً له مع ما آتاه من العلم والحكمة: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾.

الدليل الحادي عشر: وقال تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾.

الدليل الثاني عشر: وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ**﴾.

الفصل الثاني

فيما روي عن النبي ﷺ في فضل العلم والعلماء والمتعلمين

قول النبي ﷺ: (**من يُرِد اللَّه به خيراً يفقهْه في الدين**). فلو كان هناك شيء أفضل من العلم لذكره.

وقوله ﷺ: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**).

وقوله ﷺ: (**من طلب علماً فأدركه، كتب الله له كفلين من الأجر، ومن طلب علماً فلم يدركه، كتب الله له كفلاً من الأجر**).

قوله ﷺ: (**مَن أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين، فوَالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، وبنى الله له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفوراً له، وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار**).

وقوله ﷺ: (**مَن طلب العلم، فهو كالصائم نهاره، القائم ليله، وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون أبو قبيس ذهباً فأنفقه في سبيل الله**).

وقوله : (**مَن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام، كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة**).

وقوله ﷺ: (**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جُحْرها، وحتى الحوت في الماء، ليصلّون على معلم الناس الخير**).

وقوله ﷺ: (**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**).

وقوله ﷺ: (**من خرج يطلب باباً من العلم ليرد به باطلاً إلى حق، وضالاً إلى هدىً، كان عمله كعبادة أربعين عاماً**).

وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: (**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم**).

وقوله ﷺ: (**رحم الله خلفائي**): فقيل: يا رسول الله، ومَن خلفاؤك؟ قال: (**الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله**).

وقوله ﷺ: (**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**).

وقوله ﷺ: (**إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو**

علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

وقوله ﷺ: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع).

وقوله ﷺ: (من غدا في طلب العلم أظلت عليه الملائكة، وبورك له في معشيته، ولم ينقص من رزقه).

وقوله ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة).

وقوله ﷺ: (نوم مع علم خير من صلاة على جهل).

وقوله ﷺ: (فقيه أشدُّ على الشيطان من ألف عابد).

وقوله ﷺ: (إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست، أوشك أن تضل الهداة).

وقوله ﷺ: (أيُّما ناشٍ نشأ في العلم والعبادة حتى يكبر، أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صدِّيقاً).

وقوله ﷺ: (يقول الله عزوجل للعلماء يوم القيامة: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم، ولا أبالي).

وقوله ﷺ: (ما جُمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم).

وقوله ﷺ: (ما تصدق الناس بصدقه مثل علم يُنشر).

وقوله ﷺ: (ما أهدى المرء المسلم إلى أخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدىً، ويرده عن ردىً).

وقوله ﷺ: (أفضل الصدقة أن يعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه).

وقوله ﷺ: (العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس).

وقوله ﷺ: (قليل العلم خير من كثير العبادة).

وقوله ﷺ: (من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه، كان له أجر معتمر تام العمرة، ومَن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه فله أجر حاج تام الحجة).

وقوله ﷺ: (أغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك).

وقوله ﷺ: (إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً).

وقال الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام رواية عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم في مظانِّه واقتبسوه من أهله، فإن تعلُّمَه لله تعالى حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله

قربة إلى الله تعالى، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلّاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة، تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى آرائهم، تَرغب الملائكة في خَلَّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلواتها تبارك عليهم. ويستغفر لهم كلُّ رَطِب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامِّه، وسباع البر وأنعامه. إن العلم حياةُ القلوب من الجهل، وضياءُ الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الآخرة والأولى، الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الرب ويعبد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام. والعلم إمام، والعملُ تابعه، يُلهمه السعداء، ويُحرمه الاشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجبُ عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قَسَمَه عادل بينكم، وقد ضمنه، وسَيَفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أُمرتم بطلبه من أهله، فاطلبوه).

وعنه عليه السلام: (العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثَلُم

في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خَلَف منه).

وعنه عليه السلام: **(كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه مَن لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذماً أن يبرأ منه مَن هو فيه).**

وعنه عليه السلام أنه قال لكميل بن زياد: **(يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق).**

وعنه عليه السلام أيضاً: **(العلم أفضل من المال بسبعة:**

الأول: أنه ميراث الانبياء، والمال ميراث الفراعنة.

الثاني: العلم لا ينقص بالنفقة، والمال ينقص بها.

الثالث: يحتاج المال إلى الحافظ، والعلم يحفظ صاحبه.

الرابع: العلم يدخل في الكفن ويبقى المال.

الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر، والعلم لا يحصل إلا للمؤمن.

السادس: جميع الناس يحتاجون إلى العالم في أمر دينهم، ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

السابع: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط، والمال يمنعه).

وقال عليه السلام: (**قيمة كل امرئ ما يعلمه**). وفي لفظ آخر: (**ما يحسنه**).

وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: (**لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج، وخوض اللجج، إن الله تعالى أوحى إلى دانيال: أنَّ أمقت عبادي إليَّ، الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأنَّ أحب عبيدي إليَّ التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء**).

وعن الباقر عليه السلام قال: (**من علَّم بابَ هدىً فله مثلُ أجر مَن عمِلَ به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علَّم بابَ ضلالة، كان عليه مثلُ أوزار مَن عمل به، ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً**).

وعنه عليه السلام: (**عالمٌ يُنتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد**).

وعنه عليه السلام: (**إن الذي يعلِّمُ العلم منكم له أجر المتعلم، وله الفضل عليه، فتعلموا العلم من حملة العلم وعلموه إخوانكم كما علَّمكموه العلماء**).

وعنه عليه السلام: (**لَمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة**).

وعن الصادق عليه السلام: (**مَن علَّم خيراً فله مثل أجر مَن عمل به**).

قلت: فإن علَّمه غيره يجري ذلك له؟

قال: (**إن علَّمه الناس كلَّهم جرى له**).

قلت: فإن مات؟

قال: **(وإن مات)**.

وعنه عليه السلام: **(عليكم بالتفقه في دين الله، ولا تكونوا أعراباً، فإن من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكِّ له عملاً)**.

وعنه عليه السلام: **(لوَددتُ أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا)**.

وعنه عليه السلام: **(إذا أراد الله بعبد خيراً، فقهه في الدين)**.

وعنه عليه السلام: **(...الراوية لحديثنا يَشُدُّ به قلوبَ شيعتنا أفضل من ألف عابد)**.

وعنه عليه السلام قال: **(ما من أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من موت فقيه)**.

وعنه عليه السلام: **(إذا مات المؤمن الفقيه ثَلُم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء)**.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: **(إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التي كان يصعد منها أعماله، وثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها)**.

وقال الإمام العسكري عليه السلام: في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ**

بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الله...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالْيَتَامَى﴾، وأما قوله عزوجل: ﴿وَالْيَتَامَى﴾ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (حثَّ الله تعالى على بِرِّ اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم، فمن صانهم صانه الله، ومن أكرمهم أكرمه الله، ومن مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل الله تعالى له في الجنة بكل شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا بما فيها، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلَذُّ الأعين وهم فيها خالدون).

ثم قال عليه السلام: (وأشد من يُتْم هذا اليتيم يتيم انقطع عن إمامه، لا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، فهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلَّمه شريعتنا، كان معنا في الرفيق الأعلى، حدثني بذلك أبي عن أبيه عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله).

وقال علي عليه السلام: (مَن كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا، فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لأهل تلك العرصات، وحُلَّة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي منادٍ: هذا عالم من بعض تلامذة آل محمد، ألا فمَن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله، فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نُزَه الجنان، فيخرج كل من كان علَّمه في الدنيا خيراً،

أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً، أو أوضح له عن شبهة).

وقال عليه السلام: (وحضرت امرأة عند فاطمة الصديقة عليها السلام، فقالت: إن لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها عن ذلك، ثم ثَنَّت فأجابت، ثم ثلثت، إلى أن عشَّرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، وقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام: هاتي سلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى يصعد يوماً إلى سطح بحمل ثقيل وكِراه مائة ألف دينار أيثقل عليه؟ قالت: لا.

فقالت: أكتريتُ أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يثقل علي، سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يُحشرون فيُخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، وجدهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عز وجل:

أيها الكافلون لأيتام آل محمد الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم! هؤلاء تلامذتكم، والايتام الذين كفلتموهم، ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذ عنهم من العلوم، حتى أن فيهم -يعني في الأيتام -لمن يخلع عليه مائة ألف حلة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم

إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك مرتبتهم ممن خلع عليهم على مرتبتهم.

قالت فاطمة عليها السلام: يا أمَة الله، إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وما فضلُ ما طلعت عليه الشمس؟ فإنه مشوب بالتنغيص والكدر).

وقال الحسن بن علي عليهما السلام: **(فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في تيه الجهل، يخرجه من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على السُّها).**

وقال الحسين بن علي عليهما السلام: **(من كفل لنا يتيماً، قطَعَتْه عنا محنتنا باستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال له الله عزّ وجل: يا أيها العبد الكريم المواسي، إني أولى بهذا الكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علَّمه ألف ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم).**

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: **(أوحى الله عزّ وجل إلى موسى عليه السلام: (حببني إلى خلقي، وحبب خلقي إليَّ. قال: يا رب كيف أفعل؟ قال: ذكِّرْهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلَإن تردَّ آبقاً عن بابي أو ضالاً عن فنائي،**

أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها. قال موسى عليه السلام: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: العاصي المتمرد. قال: فمن الضال عن فنائك؟ قال: الجاهل بإمام زمانه تعرِّفه، الغائب عنه بعد ما عرَفه، الجاهل بشريعة دينه، تعرِّفه شريعته، وما يعبد به ربه، ويتوصل به إلى مرضاته)، قال علي بن الحسين عليهما السلام: **(فأبشروا معاشر علماء شيعتنا بالثواب الأعظم والجزاء الأوفر)**.

وقال محمد بن علي عليهما السلام: **(العالِم كمَن معه شمعة تضيء للناس، فكل من أبصر بشمعته دعا له بخير، كذلك العالم معه شمعة يزيل بها ظلمة الجهل والحيرة، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرةٍ، أو نجا بها من جهلٍ، فهو من عتقائه من النار، واللهُ تعالى يعوضه عن ذلك بكل شعرة لمن أعتقه ما هو أفضل به من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الذي أمر الله عزّ وجل به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها، ولكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة)**.

وقال جعفر بن محمد عليهما السلام: **(علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، ويمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا، وذاك**

يدفع عن أبدانهم).

وقال موسى بن جعفر عليهما السلام: **(فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا، المنقطعين عن مشاهدتنا، والتعلم من علومنا أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه، لينقذهم من يد إبليس ومردته، وكذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة).**

وقال علي بن موسى عليهما السلام: **(يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت، هِمَّتُك ذاتُ نفسك، وكفيت الناس مؤونتك، فادخل الجنة. ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله، وحصل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيه ومواليه! قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف، فيدخل الجنة معه فِئام وفِئام، حتى قال عشراً، وهم الذين أخذوا عنه علومه، وأخذوا عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة، فانظروا كم فرق ما بين المنزلتين؟).**

وقال محمد بن علي عليهما السلام: **(إن من تكفَّل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقَهَر الشياطين برد**

وسواسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم، ليفضلوا عند الله على العابد بأفضل المواقع، بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش على الكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء).

وقال علي بن محمد عليهما السلام: (لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه، والذّابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شِباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك السفينة سكانها، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجل).

وقال الحسن بن علي عليهما السلام: (يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة، والأنوار تسطع من تيجانهم، وعلى رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة، ودورها مسيرة ثلاث مِائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث، فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه من ظلمة الجهل وعلموه، ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم فرفعتهم إلى العلو حتى يحاذى بهم فوق الجنان، ثم ينزلونهم على منازلهم المعدة لهم في جوار أستاذيهم ومعلميهم، وبحضرة أئمتهم الذين كانوا إليهم يدعون، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا

عميت عيناه، وصمت أذناه، وأخرس لسانه، وتحول عليه أشد من لهب النيران، فتحملهم حتى تدفعهم إلى الزبانية، فتدعوهم إلى سواء الجحيم).

الفصل الثالث

في فضل العلم من الكتب السالفة والحِكَم القديمة

قال لقمان لابنه: **(يا بُني اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علَّموك، ولعل الله أن يظلهم برحمته فتعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله، فلا تجلس معهم، فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله أن يظلهم بعقوبة فتعمك معهم).**

وفي التوراة: قال الله تعالى لموسى عليه السلام: **(عظِّم الحكمة، فإني لا أجعل الحكمة في قلب أحد إلا وأردت أن أغفر له، فتعلَّمْها ثم اعمل بها، ثم ابذلها، كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة).**

وفي الزبور: **(قل لأحبار بني إسرائيل ورهبانهم: حادثوا من الناس الأتقياء فإن لم تجدوا فيهم تقياً، فحادثوا العلماء، فإن لم تجدوا عالماً، فحادثوا العقلاء، فإن التُقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في**

خلقي، وأنا أريد هلاكه).

وفي الإنجيل قال الله تعالى في السورة السابعة عشرة منه: **(ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه، كيف يحشر مع الجهال إلى النار!؟ اطلبوا العلم وتعلَّموه، فإن العلم إن لم يُسعدكم لم يُشقكم، وإن لم يرفعكم لم يضعكم، وإن لم يغنكم لم يفقركم، وإن لم ينفعكم لم يضركم، ولا تقولوا: نخاف أن نعلم فلا نعمل، ولكن قولوا: نرجو أن نعلم ونعمل، والعلم يشفع لصاحبه، وحق على الله أن لا يخزيه، إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا معشر العلماء، ما ظنكم بربكم؟ فيقولون: ظننا أن يرحمنا ويغفر لنا. فيقول تعالى: فإني قد فعلت، إني قد استودعتكم حكمتي لا لشر أردته بكم، بل لخير أردته بكم، فادخلوا في صالح عبادي إلى جنتي برحمتي).**

وقال مقاتل بن سليمان: وجدت في الإنجيل أن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام: **(عظِّم العلماء، واعرف فضلهم. فإني فضلتهم على جميع خلقي إلا النبيين والمرسلين، كفضل الشمس على الكواكب، وكفضل الآخرة على الدنيا، وكفضلي على كل شيء).**

ومن كلام المسيح عليه السلام: **(مَن عَلِم وعَمِل، فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماء).**

الفصل الرابع

في فضل العلم من الآثار وتحقيقات بعض العلماء

عن أبي ذر رضي الله عنه: (باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً).

وعن غيره: (يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيا، والعز وإن كان مهيناً، والقرب وإن كان قصياً، والغنى وإن كان فقيراً، والنبل وإن كان حقيراً، والمهابة وإن كان وضيعاً، والسلامة وإن كان سقيماً).

وقال بعض العارفين: (أليس المريض إذا مُنع عنه الطعام والشراب والدواء يموت؟ كذا القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت).

وقال آخر: (مَن جلس عند العالم، ولم يُطِقْ الحفظ من علمه فله سبع كرامات: ينال فضل المتعلمين، وتحبس عنه الذنوب ما دام عنده، وتنزل الرحمة عليه إذا خرج من منزله طالباً للعلم، وإذا جلس في حلقة العالم نزلت الرحمة عليه، فحصل له منها نصيب، وما دام في الاستماع يكتب له طاعة، وإذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه بحرمانه عن إدراك العلم فيصير ذلك الغم وسيلة إلى حضرة الله تعالى، لقوله تعالى: أنا عند المنكسرة قلوبهم. ويرى إعزاز المسلمين للعالم وإذلالهم للفساق، فيرد قلبه عن الفسق، وتميل طبيعته إلى العلم، ولهذا أمر صلى الله عليه وآله بمجالسة الصالحين).

وقال أيضاً: (من جلس مع ثمانية أصناف من الناس زاده الله ثمانية أشياء: من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها، ومع الفقراء حصل له الشكر والرضا بقَسْم الله تعالى، ومع السلطان زاده الله القسوة والكبر، ومع النساء زاده الله الجهل والشهوة، ومع الصبيان ازداد من اللهو والمزاح، ومع الفساق ازداد من الجرأة على الذنوب وتسويف التوبة، ومع الصالحين ازداد رغبة في الطاعات، ومع العلماء ازداد من العلم).

الفصل الخامس

في الدليل العقلي على فضل العلم

إن المعقولات تنقسم إلى موجودة ومعدومة. والعقول السليمة تشهد بأن الموجود أشرف من المعدوم، بل لا شرف للمعدوم أصلاً. ثم الموجود ينقسم إلى جمادٍ ونامٍ، والنامي أشرف من الجماد. ثم النامي ينقسم إلى حساس وغيره، والحساس أشرف من غيره. ثم الحساس ينقسم إلى عاقل وغير عاقل، ولا شك أن العاقل أشرف من غيره. ثم العاقل ينقسم إلى عالم وجاهل، ولا شبهة في أن العالم أشرف من الجاهل. فتبين بذلك أن العالم أشرف المعقولات والموجودات وهذا أمر يلحق بالواضحات.

الباب الأول

في آداب المعلم والمتعلم

وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: آداب اشتركا فيها.

النوع الثاني: آداب يختص بها المعلم.

النوع الثالث: آداب يختص بها المتعلم.

النوع الأول

آداب اشتركا فيها

وهي قسمان: آدابهما في أنفسهما، وآدابهما في مجلس الدرس.

القسم الأول: آدابهما في أنفسهما

وهي أمور:

الأمر الأول: أول ما يجب عليهما إخلاص النية لله تعالى في طلبه وبذله، فإن مدار الاعمال على النيات، وبسببها يكون العمل تارة خزَفَة لا قيمة

لها، وتارة جوهرة، لا يعلم قيمتها لعِظَم قدرها، وتارة وبال على صاحبه، مكتوب في ديوان السيئات، وإن كان بصورة الواجبات. فيجب على كل منهما أن يقصد بعمله وجهَ الله تعالى وامتثال أمره، وإصلاح نفسه، وإرشاد عباده إلى معالم دينه، ولا يقصد بذلك غرض الدنيا من تحصيل مال أو جاه أو شهرة أو تميُّز عن الاشباه أو المفاخرة للاقران أو الترفع على الإخوان، ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة التي تثمر الخذلان من الله تعالى وتوجب المقت، وتفوّت الدار الآخرة والثواب الدائم، فيصير من الأخسرين أعمالاً، الذين ضلَّ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والإخلاص يحصل بتصفية القلب عن ملاحظة ما سوى الله تعالى بالعبادة، قال الله تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾، فقد قيل: نزلت في مَن يعمل العمل، ويحب أن يحمد عليه.

وقال ﷺ مخبراً عن جبرئيل عن الله عزّ وجل أنه قال: (**الإخلاصُ سرٌّ مِن أسراري، استودعتُه قلبَ مَن أحببتُ مِن عبادي**).

وقال ﷺ: (**إنَّ أولَّ الناس يقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأتي به، فعرَّفه نعمه، فعرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى**

استشهدتُ. قال: كذبتَ. ولكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل ذلك. ثم أُمر به، فسُحب على وجهه حتى ألقيَ في النار. ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نعمه، فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُه وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ ليقال: عالم، وقرأتَ القرآن ليقال: قارئ القرآن، فقد قيل ذلك. ثم أمر به، فسُحب على وجهه حتى ألقيَ في النار).

وقال ﷺ: (مَن تعلَّم علماً مما يبتغى به وجه الله عزّ وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة).

وقال ﷺ: (مَن تعلَّم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار).

وقال ﷺ: (مَن طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوهَ الناس إليه، أدخله الله النار). وفي رواية: (فليتبوأ مقعده من النار).

وقال ﷺ: (لا تَعَلَّموا العلم لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عند الله فإنه يدوم ويبقى، وينفدُ ما سواه. كونوا ينابيع الحكمة، مصابيح الهدى، أحلاسَ البيوت، سُرج الليل، جُدَدَ القلوب، خَلْقان الثياب، تُعرَفون في أهل السماء وتُخْفَوْن في

أهل الأرض).

وقال ﷺ: (من طلب العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء).

وقال ﷺ: (ما ازداد عبدٌ علماً، فازداد في الدنيا رغبةً إلا ازداد من الله بُعداً).

وقال ﷺ: (كلُّ علم وبالٌ على صاحبه يوم القيامة إلا مَن عمل به).

وقال ﷺ: (أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة، عالم لم ينفعه علمه).

وقال ﷺ: (مثل الذي يعلِّم الناس الخير، وينسى نفسه، مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها).

وقال ﷺ: (علماء هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علماً، فبذله للناس، ولم يأخذ عليه طَعْماً، ولم يَشْر به ثمناً، فذلك يَستغفر له حيتان البحر، ودوابُّ البَّر، والطير في جو السماء، ويقدم على الله سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين.

ورجل آتاه الله علماً، فبخل به عن عباد الله، وأخذ عليه طعماً، وشرى به ثمناً، فذلك يُلجم يوم القيامة بلجام من نار، وينادي منادٍ: هذا الذي أتاه الله علماً، فبخل به عن عباد الله، وأخذ عليه طعماً، واشترى به ثمناً، وكذلك حتى يفرغ من الحساب).

وقال ﷺ: (من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار).

وقال ﷺ: (العلم علمان: فعلم في القلب، فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم).

وقال ﷺ: (إني لا أتخوَّف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً. فأما المؤمن، فيحجزه إيمانه، وأما المشرك، فيقمعه كفره. ولكن أتخوف عليكم منافقاً عليم اللسان، يقول ما تعرفون، ويعمل ما تنكرون).

وقال ﷺ: (ألا إن شر الشر، شرار العلماء، وإن خير الخير، خيار العلماء).

وقال ﷺ: (من قال: "أنا عالم" فهو جاهل).

قال رسول الله ﷺ: (منهومان لا يشبعان: طالب دنيا، وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومن تناولها من غير حلِّها هلك، إلا أن يتوب ويراجع. ومن أخذ العلم من أهله، وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا، فهي حظه).

وقال الباقر عليه السلام: (من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار، إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في

الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة).

وعنه عليه السلام: (إذا رأيتم العالم محباً للدنيا، فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب).

وعنه عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك، فاحذروهم على دينكم).

وعنه عليه السلام: (طلبة العلم ثلاثة، فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والخَتْل، وصنف يطلبه للتفقه والعمل، فصاحب الجهل والمراء مؤذٍ ممار، متعرِّض للمقال في أندية الرجال، بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع، وتخلى من الورع، فدقَّ الله من هذا خَيْشومه، وقطع منه حَيْزومه، وصاحب الاستطالة والخَتْل ذو خَبٍ ومَلَق، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلْوانهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره، وصاحب الفقه والعمل ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنَّك في بُرنسه، وقام الليل في حِندسه، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدَّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانَه).

والأمر الثاني: استعمال ما يعلمه كل منهما شيئاً فشيئاً، فإن العاقل همه الرعاية، والجاهل همه الرواية، وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه، فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه، فهذا هالك. وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه. وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله تبارك وتعالى فاستجاب له وقبل منه، فأطاع الله فأدخله الجنة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه، واتباعه الهوى، وطول الأمل، أما اتباع الهوى، فيصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة**).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**إن العالم إذا لم يعمل بعلمه، زلت موعظته عن القلوب، كما يزل المطر عن الصفا**).

وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يشفع شفاعة حسنة، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو دلَّ على خير، أو أشار به، فهو شريك، ومن أمر بسوء، أو دل عليه، أو أشار به، فهو شريك**).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطبه على المنبر: (**أيها الناس إذا عَلِمْتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، إن العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيتُ أن الحجة عليه أعظم، والحسرةُ أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما حائر بائر، لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم**

فتدهنوا، ولا تدهنوا في الحق فتخسروا، وإن من الحق أن تفقهوا، ومن الفقه أن لا تغتروا، وإن مَنْ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه، وأغشَّكم لنفسه أعصاكم لربه، ومن يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخب ويندم).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **(يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأسباب والامور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، ورداؤه المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار).**

وفي حديث عنوان البصري الطويل عن الصادق عليه السلام: **(ليس العلم بكثرة التعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله أن يهديه، فإذا أردتَ العلم، فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية . واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك)**[1].

---

١ - روى العلامة المجلسي رحمه الله عن شيخنا البهائي عن شيخنا الشهيد الأول عن الشيخ أحمد الفراهاني عن عنوان البصري، وكان شيخاً كبيراً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة، قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة، اختلفت

واعلم أن الله قد وصف العالم الذي لا يعمل بعلمه، بأنه كلب، كما في

إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك. فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب، ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وِردي، وخذ عن مالك، واختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاغتممتُ من ذلك، وخرجت من عنده وقلت في نفسي: لو تفرَّس فيَّ خيرا لما زجرني عن الاختلاف إليه، والاخذ عنه، فدخلتُ مسجد الرسول ﷺ وسلَّمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلتُ أسألك يا الله يا الله! أن تعطف عليَّ قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم.

ورجعتُ إلى داري مغتما ولم أختلف إلى مالك بن أنس لِمَا أُشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى عيلَ صبري، فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفرا، وكان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنتُ عليه فخرج خادم له فقال ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلاه، فجلست بحِذاء بابه فما لبثت إلا يسيراً إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت وسلَّمت عليه، فرد السلام وقال: (**اجلس غفر الله لك**)، فجلست فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه، وقال: (**أبو من؟**)، قلت: أبوعبد الله، قال: (**ثبت الله كنيتك ووفقك، يا أبا عبدالله ما مسألتك؟**)، فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً. ثم رفع رأسه، ثم قال: (**ما مسألتك؟**) فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليَّ، ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: (**يا أبا عبدالله، ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديَه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يُفهمك**).

قلت: يا شريف، فقال: (**قل يا أبا عبدالله**). قلت: يا أبا عبدالله، ما حقيقة العبودية؟

قال: (**ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله مِلكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى مِلكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا، وإبليس، والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**).

قلت: يا أبا عبدالله، أوصني، قال:

(**أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله، ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها**).

قال عنوان: ففرَّغت قلبي له.

فقال: (**أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه، فإن يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلاعند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً وسمّ الله، واذكر حديث رسول الله ﷺ: ما ملا آدمي وعاءً شراً من بطنه. فإن كان ولا بد، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِه، وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعتَ عشراً، فقل: إن قلتَ عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنتَ صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنتَ كاذباً فيما تقول فالله أسألُ أن يغفر لك، ومن وعدك بالخِنى فعِدْه**

قوله تعالى في وصفه مشيراً إلى بلعم بن باعورا، الذي كان في حضرته الآلاف يكتبون العلم، مع ما آتاه الله من الآيات المتعددة التي كان من جملتها أنه كان بحيث إذا نظر يرى العرش، كما نقله جماعة من العلماء: ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾.

وقوله تعالى في وصف العالم التارك لعلمه: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا**﴾ أي لم يفعلوا الغاية المقصودة من حملها، وهو العمل بها ﴿**مَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**﴾، فأي خزي أعظم من تمثيل حاله بالكلب والحمار؟!

وقد قال ﷺ: (**من ازداد علماً، ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلا بعداً**).

وقال ﷺ: (**يُلقى العالم في النار فتنْدلِق أقتابُه، فيدور به كما يدور الحمار في الرحى**).

وقال ﷺ: (**إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة، عالم لم ينفعه الله بعلمه**).

بالنصيحة والدعاء. وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلتَ، وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً. قم عني يا أبا عبد الله، فقد نصحتُ لك ولا تفسد عليَّ وِردي، فإني امرء ضنين بنفسي، والسلام على من اتبع الهدى).

وأقرب مثال إليه: رجل زرع زرعاً فنبت، ونبت معه حشيش يفسده، فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله، فأخذ يجز رأسه ويقطعه، فلا يزال يقوى أصله وينبت، لأن مغارس النقائص ومنابت الرذائل هي الأخلاق الذميمة في القلب، فمن لا يطهِّر القلب منها، لم تتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة.

ومثال آخر: كمريض ظهر به الجَرَب، وقد أمره الطبيب بالطلاء وشرب الدواء: أما الطلاء ليزيل ما على ظاهره، والدواء ليقلع مادته من باطنه، فقنع بالطلاء وترك شرب الدواء، وبقي يتناول ما يزيد في المادة، فلا يزال يطلي الظاهر، والجرب دائما يتزايد في الباطن إلى أن أهلكه. نسأل الله تعالى أن يصلحنا لأنفسنا، ويبصرنا بعيوبنا، وينفعنا بما علمنا ولا يجعله حجة علينا، فإن ذلك بيده، وهو أرحم الراحمين.

الأمر الثالث: التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه:

فمما يلزم كل واحد منهما بعد تطهير نفسه من الرذائل المذكورة وغيرها، توجيه نفسه إلى الله تعالى والاعتماد عليه في أموره، وتلقي الفيض الالهي من عنده، فإن العلم، كما تقدم من كلام الصادق عليه السلام، ليس بكثرة التعلم، وإنما هو نور من الله تعالى، ينزله على من يريد أن يهديه وأن يتوكل عليه ويفوض أمره إليه، ولا يعتمد على الاسباب، فيوكل إليها وتكون وبالاً عليه، ولا على

أحد من خلق الله تعالى، بل يلقي مقاليد أمره إلى الله تعالى في أمره ورزقه وغيرهما، يظهر عليه حينئذ من نفحات قدسه، ولحظات أُنسه ما يقوم به أوده، ويحصل مطلبه، ويصلح به أمره.

وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: (**إن الله تعالى قد تكفل لطالب العلم برزقه خاصة عمّا ضمنه لغيره**). بمعنى أن غيره يحتاج إلى السعي على الرزق حتى يحصل غالبا وطالب العلم لا يكلفه بذلك، بل بالطلب، وكفاه مؤونة الرزق إن أحسن النية، وأخلص العزيمة.

وروى شيخنا المتقدم محمد بن يعقوب الكليني قدس الله روحه بإسناده إلى الحسين بن علوان قال: (كنا في مجلس نطلب فيه العلم، وقد نفدت نفقتي في بعض الاسفار، فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمِّل لما قد نزل بك؟ فقلتُ: فلانا، فقال: إذن والله لا تُسعَف حاجتك، ولا يبلِّغك أملك، ولا تنجح طَلِبَتُك. قلت: وما علمك رحمك الله؟ قال: إن أبا عبدالله عليه السلام حدثني أنه قرأ في بعض الكتب: (**إن الله تبارك وتعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينه من قربي، ولأبعدنه من وصلي، أيؤمل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي، ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري؟! وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن الذي أملني لنوائبه**

فقطعته دونها؟! ومن الذي رجاني لعظيمة فقطت رجاءه مني؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة، فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي.

ألم يعلم من طَرَقَتْهُ نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري، إلا من بعد إذني، فمالي أراه لاهيا عني؟! أعطيتُه بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته عنه، فلم يسألني رده، وسأل غيري! أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة، ثم أُسأل فلا أجيب سائلي؟! أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟! أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محل الآمال؟ فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري؟

فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعا، ثم أعطيتُ كل واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه؟ فيا بؤسا للقانطين من رحمتي، ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني)، فقلت: يا ابن رسول الله، أمل عليَّ. فأملاه عليَّ، فقلت: لا والله ما أسأله حاجة بعدها).

الأمر الرابع: حُسْن الخُلق زيادة على غيرهما من الناس والتواضع وتمام الرفق وبذل الوسع في تكميل النفس.

قال الصادق عليه السلام: (**اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلِّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين، فيذهب باطلكم بحقكم**).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (**ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمِّنهم من عذاب الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه في غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر**).

واعلم أن المتلبس بالعلم منظور إليه، ومتأسى بفعله وقوله وهيأته، فإذا حسن سمته، وصلحت أحواله وتواضعت نفسه، وأخلص لله تعالى عمله، انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعية، وفشا الخير فيهم، وانتظمت أحوالهم، ومتى لم يكن كذلك كان الناس دونه في المرتبة التي هو عليها فضلاً عن مساواته، فكان مع فساد نفسه منشأ لفساد النوع وخلله.

وناهيك بذلك ذنباً وطرداً عن الحق وبعداً. ويا ليته إذا هلك انقطع عمله، وبطل وزره، بل هو باقٍ ما بقي مَن تأسى به واستن بسنته.

الأمر الخامس: أن يكون عفيف النفس عاليَ الهمة، منقبضا عن الملوك وأهل الدنيا، لا يدخل إليهم طمعا ما وجد إلى الفرار منهم سبيلا، صيانةً

للعلم عما صانه السلف. فمن فعل ذلك، فقد عرَّض نفسه وخان أمانته، وكثيرا ما يثمر عدم الوصول إلى البغية، وإن وصل إلى بعضها لم يكن حاله كحال المتعفف المنقبض، وشاهده مع النقل الوجدان.

وقد سمعتَ جملة من الاخبار في ذلك سابقا، كقول النبيﷺ: (**الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل: يا رسول الله! وما دخولهم في الدنيا، قال: اتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم**). وغيره من الاحاديث.

الأمر السادس: أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الاحكام، كإقامة الصلوات في مساجد الجماعات محافظا على شريف الاوقات، وإفشاء السلام للخاص والعام مبتدئا ومجيبا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الاذى بسبب ذلك، صادعا بالحق باذلاً نفسه لله لا يخاف لومة لائم، متأسيا في ذلك بالنبيﷺ وغيره من الانبياء، متذكرا ما نزل بهم من المحن عند القيام بأوامر الله تعالى. ولا يرضى من أفعاله الظاهرة والباطنة بالجائز، بل يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها، فإن العلماء هم القدوة وإليهم المرجع، وهم حجة الله تعالى على العوام. وقد يراقبهم للأخذ منهم من لا ينظرون إليه، ويقتدي بهم من لا يعلمون به.

ثم ان العالم اذا لم ينتفع بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به، ولهذا كانت

زلة العالم عظيمة لما يترتب عليها من المفاسد، ويتخلق بالمحاسن التي ورد بها الشرع وحث عليها، والخلال الاعتدال، وكظم الغيظ، وكف الاذى واحتماله، والصبر والمروة، والتنزه عن دني الاكتساب، والايثار وترك الاستيثار، والانصاف وترك الاستنصاف، وشكر المفضل، والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه والشفاعات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلى الجيران والاقرباء، والاحسان إلى ما ملكت الايمان، ومجانبة الاكثار من الضحك والمزاح، والتزام الخوف والحزن والانكسار والاطراق والصمت بحيث يظهر أثر الخشية على هيأته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته. لا ينظر اليه ناظر إلا وكان نظره مذكِّرا الله تعالى، وصورته دليلا على علمه.

وعليه بملازمة الآداب الشرعية القولية والفعلية الظاهرة والخفية، كتلاوة القرآن متفكِّرا في معانيه، ممتثلا لأوامره، منزجرا عند زواجره، واقفا عند وعده ووعيده، قائما بوظائفه وحدوده.

وعليه بذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وكذلك ما ورد من الدعوات، والاذكار في آناء الليل والنهار ونوافل العبادات من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام.

ولا يقتصر من العبادات على مجرد العلم، فيقسو قلبه ويظلم نوره، كما تقدم التنبيه عليه.

وزيـادة التنظيف بإزالة الاوسـاخ، وقص الاظفار وإزالـة الشعور المطلوب زوالها، واجتناب الروائح الكريهة، وتسريح اللحية، مجتهدا في الإقتداء بالسنة الشريفة، والاخلاق الحميدة المنيفة ويطهِّر نفسه من مساوىء الأخلاق وذميم الاوصاف: من الحسد والرئاء والعجب واحتقار الناس، وإن كانوا دونه بدرجات، والغل والبغي والغضب لغير الله، والغش والبخل والخبث والبطر والطمع والفخر والخُيَلاء والتنافس في الدنيا والمباهاة بها، والمداهنة والتزين للناس وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الناس، والحمية والعصبية لغير الله، والرغبة والرهبة لغيره، والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والفُحش في القول.

واعلم أن لهذه الاوصاف تفصيل وأدوية وترغيب وترهيب، محرر في مواضع تخصه، وان الغرض من ذكرها هنا تنبيه العالم والمتعلم على أصولها، ليتنبه لها ارتكابا واجتنابا على الجملة، وهي وإن اشتركت بين الجميع، إلا أنها بهما أولى، فلذلك جعلناها من وظائفهما، لأن العلم كما قال بعض الاكابر عبادة القلب وعمارته وصلاة السر، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح إلا بعد تطهيرها من الاحداث والاخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن إلا بعد تطهيره من خبائث الأخلاق، ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب المنجَّس بالكدورات النفسية والاخلاق الذميمة.

قال الصادق عليه السلام: (**ليس العلم بكثرة التعلم، وإنما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يريد الله أن يهديه**).

وبهذا يعلم أن العلم ليس هو مجرد استحضار المعلومات الخاصة، وإن كانت هي العلم في العرف العامي، وإنما هو النور المذكور الناشيء من ذلك العلم الموجب للبصيرة والخشية لله تعالى، كما تقدم.

فهذه جملة الوظائف المشتركة بينهما، وأكثرها راجع إلى استعمال العلم، إلا أنا أفردناها عنه اهتماما بشأنها وتنبيها على أصول الفضائل.

القسم الثاني: آدابهما في درسهما واشتغالهما

وهي أمور:

الأول: أن لا يزال كل منهما مجتهدا في الاشتغال قراءة ومطالعة وتعليقا ومباحثة ومذاكرة وفكرا وحفظا وإقراء وغيرها، وأن تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبه ورأس ماله، فلا يشتغل بغيره من الامور الدنيوية مع الامكان، وبدونه يقتصر منه على قدر الضرورة. وليكن بعد قضاء وظيفته من العلم بحسب أوراده، ومن هنا قيل: أعط العلم كلك يعطك بعضه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عزّ وجل يقول: تذاكر العلم بين عبادي مما تحيا عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري**).

وعن الباقر عليه السلام: **(رحم الله عبدا أحيا العلم. فقيل: وما إحياؤه؟ قال: أن يذاكر به أهل الدين والورع)**.

وعنه عليه السلام: **(تذاكر العلم دراسة، والدراسة صلاة حسنة)**.

الثاني: أن لا يسأل أحدا تعنتاً وتعجيزاً، بل سؤال متعلم لله أو معلم له منبه على الخير، قاصد للارشاد أو الاسترشاد، فهناك تظهر زبدة التعليم والتعلم وتثمر شجرته، فأما إذا قصد مجرد المِراء والجدل، وأحب ظهور الفلج والغلبة فإن ذلك يثمر في النفس ملكة ردية وسجية خبيثة، ومع ذلك يستوجب المقت من الله تعالى.

وفيه مع ذلك عدة معاصي: كإيذاء المخاطب وتجهيل له وطعن فيه، وثناء على النفس وتزكية لها، وهذه كلها ذنوب مؤكدة، وعيوب منهي عنها في محالها من السنة المطهرة، وهو مع ذلك مشوش للعيش، فإنك لا تماري سفيها إلا ويؤذيك، ولا حليما إلا ويقليك. واعلم أن حقيقة المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه لفظاً أو معنى أو قصدا، لغير غرض ديني أمر الله به.

وترك المراء يحصل بترك الانكار والاعتراض بكل كلام يسمعه، فإن كان حقا وجب التصديق به بالقلب وإظهار صدقه حيث يطلب منه، وإن

كان باطلا ولم يكن متعلقا بأمور الدين، فاسكت عنه ما لم يتمحض النهي عن المنكر بشروطه. والطعن في كلام الغير إما في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو اللغة أو جهة النظم والترتيب بسبب قصور المعرفة أو طغيان اللسان، وإما في المعنى بأن يقول: ليس كما تقول، وقد أخطأت فيه لكذا وكذا، وإما في قصده مثل أن يقول: هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق، وما يجري مجراه.

وقد أكد الله سبحانه على لسان نبيه وأئمته عليهم السلام تحريم المراء، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: **(لا تمار أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعدا فتخلفه)**.

وقال صلى الله عليه وآله: **(ذروا المراء، فإنه لا تُفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته)**.

وقال صلى الله عليه وآله: **(من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة)**.

وقال صلى الله عليه وآله: **(إن أول ما عهد إليَّ ربي، ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر، ملاحاة الرجال)**.

وقال صلى الله عليه وآله: **(ما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل)**.

وقال صلى الله عليه وآله: **(لا يستكملُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتى يدعَ المراءَ وإن كان محقّاً)**.

وقال الصادق عليه السلام: **(المراء داء دوي، وليس في الإنسان خصلة شر منه، وهو خلق ابليس ونسبته، فلا يماري في أي حال كان إلا من كان جاهلا بنفسه وبغيره، محروما من حقائق الدين)**.

وروي أن رجلا قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: **(اجلس حتى نتناظر في الدين. فقال: يا هذا أنا بصير بديني مكشوف عليَّ هداي، فإن كنت جاهلا بدينك فاذهب فاطلبه، مالي وللمماراة؟ وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول: ناظر الناس لئلا يظنوا بك العجز والجهل)**.

وعلامة فساد مقصد المتكلم تتحقق بكراهة ظهور الحق على غير يده ليتبين فضله ومعرفته للمسألة، والباعث عليه الترفع بإظهار الفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان رديَّتان للنفس: اما إظهار الفضل فهو تزكية للنفس، وهو من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء، وقد نهى الله تعالى عنه في محكم كتابه، فقال سبحانه: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ**﴾.

وأما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية، فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويصدمه ويؤذيه، وهي مهلكة. والمراء والجدال مقويان لهذه الصفات المهلكة، ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل، ويقدح في قائله بكل ما

يتصور، فيثور التشاجر بين المتماريين، كما يثور التهارش بين الكلبين، يقصد كل منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه وإنكائه.

وعلاج ذلك أن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره، بالادوية النافعة في علاج الكبر والغضب.

ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان، ويقول لك: أظهر الحق ولا تداهن فيه. فإنه أبدا يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير، فلا تكن ضحكة الشيطان يسخر بك. فإظهار الحق حسن مع من يقبل منه إذا وقع على وجه الاخلاص، وذلك من طريق النصيحة بالتي هي أحسن لا بطريق المماراة. وللنصيحة صفة وهيأة، ويحتاج فيها إلى التلطف، وإلا صارت فضيحة، فكان فسادها أعظم من صلاحها.

ومن خالط متفقهة هذا الزمان، والمتسمين بالعلم، غلب على طبعه المراء والجدال، وعسر عليه الصمت إذا ألقى عليه قرناء السوء أن ذلك هو الفضل، ففر منهم فرارك من الأسد.

الثالث: أن لا يستنكف من التعلم والاستفادة ممن هو دونه في منصب أو سن أو شهرة أو دين أو في علم آخر، بل يستفيد ممن يمكن الاستفادة منه، ولا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه، فتخسر صفقته ويقل علمه ويستحق المقت من الله تعالى.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (**الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها**).

فعن الباقر عليه السلام: (**ألا إن مفتاح العلم السؤال**). وأنشد يقول:

شفاء العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

وقال أبوعبدالله عليه السلام: (**إنما يهلك الناس، لانهم لا يسألون**).

وعنه عليه السلام: (**إن هذا العلم عليه قفل، ومفتاحه المسألة**).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: (لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده، فهو أجهل ما يكون).

ومن هذا الباب أن يترك السؤال استحياء، ومن هنا قيل: (من استحيا من المسألة لم يستحِ الجهل منه).

وقيل أيضاً: (لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر).

الرابع: وهو من أهمها: الانقياد للحق بالرجوع عند الهفوة، ولو ظهر على يد من هو أصغر منه، فإنه مع وجوبه من بركة العلم، والاصرار على تركه كِبْر مذموم عند الله تعالى، موجب للطرد والبعد.

قال النبي صلى الله عليه وآله: (**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر**).

فقال بعض أصحابه: هلكنا يا رسول الله! إنَّ أحدَنا يحب أن يكون نعله حسناً وثوبه حسناً.

فقال النبي ﷺ: **(ليس هذا الكبر، إنما الكبر بَطَر الحق وغَمْص الناس)**[1].

والمراد ببطر الحق: رده على قائله، وعدم الاعتراف به بعد ظهوره، وذلك أعم من ظهوره على يدي الصغير والكبير والجليل والحقير، وكفى بهذا زجراً وردعاً.

الخامس: أن يتأمل ويهذب ما يريد أن يورده أو يسأل عنه قبل إبرازه والتفوه به ليأمن من صدور هفوة أو زلة أو وهم أو انعكاس فهم، فيصير له بذلك ملكة صالحة، وخلاف ذلك إذا اعتاد الاسراع في السؤال والجواب فيكثر سقطه ويعظم نقصه ويظهر خطاؤه، فيعرف بذلك، سيما إذا كان هناك

١- قال المحدِّث الجزائري رحمه الله في (الأنوار النعمانية): (وقد كان لي شيخ جليل قرأت عليه كثيرا من العربية والاصول، فما وجدت أحدا أنصف منه، وذلك أنه ربما أشكلتْ المسألة علينا وقت الدرس، فإذا طالعتُها أنا وكنت أصغر الشركاء سنا قال لي ذلك الشيخ: هذا الحق وغلطتُ أنا وجميع هؤلاء. فيغلِّط نفسه والطلبة لاجل معرفته بصحة كلامي، ثم يقول لي: أمْلِ عليَّ ما خطر بخاطرك، حتى أعلِّقه حاشيةً على كتابي، فأملي أنا عليه وهو يكتبه حاشية، وهو وقت تأليف هذا الكتاب في بلاد حيدر آباد من بلاد الهند واسمه الشيخ جعفر البحريني مدَّ الله أيام سعادته).

من قرناء السوء من يخشى أن يصير ذلك عليه وصمة، ويجعله له عند نظرائه وحسدته وسمة.

السادس: أن لا يحضر مجلس الدرس إلا متطهراً من الحدث والخبث متنظفا متطيبا في بدنه وثوبه، لابسا أحسن ثيابه، قاصدا بذلك تعظيم العلم وترويح الحاضرين من الجلساء والملائكة، سيما إن كان في مسجد. وجميع ما ورد من الترغيب في ذلك لمطلق الناس، فهو في حق العالم والمتعلم آكد.

النوع الثاني

آداب يختص بها المعلم

اعلم أن التعليم هو الاصل الذي به قوام الدين، وبه يؤمن انمحاق العلم، فهو من أهم العبادات وآكد فروض الكفايات، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾.

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾.

ومن مشاهير الاخبار قوله ﷺ: (**ليبلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ**).

والاخبار بمعناه كثيرة، وقد مر جملة منها. وآدابه تنقسم ثلاثة أقسام: آدابه في نفسه، وآدابه مع طلبته، وآدابه في مجلس درسه.

القسم الأول: آدابه في نفسه مضافة إلى ما تقدم

وهي أمور:

الأول: أن لا ينتصب للتدريس حتى تكمل أهليته، ويظهر استحقاقه لذلك على صفحات وجهه ونفحات لسانه، وتشهد له به صلحاء مشايخه، ففي الخبر المشهور: المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبَي زور.

وقال بعض الفضلاء: (من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه).

وقال آخر: (من طلب الرئاسة في غير حينه لم يزل في ذل ما بقي).

وأنشد بعضهم:

لا تطمحن إلى المراتب قبل أن تتكامل الأدوات والاسباب

إن الثمار تمر قبل بلوغها طعما، وهن إذا بلغن عذاب

الثاني: أن لا يذل العلم فيبذله لغير أهله ويذهب به إلى مكان ينسب إلى من يتعلمه منه، وإن كان المتعلم كبير القدر، بل يصون العلم عن ذلك.

الثالث: أن يكون عاملٌ بعلمه زيادة على ما تقدم في الأمر المشترك، قال الله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**﴾.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾: (**مَن صدق فعله قوله، ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم**).

وعنه عليه السلام: (**العلم مقرون إلى العمل، فمن عَلِم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل**).

وعنه عليه السلام: (**إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل المطر عن الصفا**).

وقال علي عليه السلام: (**قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك، فالجاهل يغش الناس بتنسكه، والعالم ينفِّرُهم بتهتكه**).

الرابع: زيادة حسن الخلق فيه والتواضع، وتمام الرفق، وبذل الوسع في تكميل النفس، فإن العالم الصالح في هذا الزمان بمنزلة نبي من الانبياء، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: (**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**). ومتى كان كذلك؟ فليعلم أنه قد علق في عنقه أمانة عظيمة، وحمل أعباء من الدين ثقيلة، فليجتهد في الدين جهده، وليبذل في التعليم جده، عسى أن يكون من الفائزين.

وقد روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (**كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن للعالم ثلاث علامات: العلم، والحلم والصمت، وللمتكلِّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة**).

وعن محمد بن سنان رفعه قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: **(يا معشر الحواريين، لي إليكم حاجة، اقضوها لي. قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله! فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم. ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل)**.

الخامس: أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، فربما عسر على كثير من المبتدئين بالاشتغال، تصحيح النية لضعف نفوسهم وانحطاطها عن إدراك السعادة الآجلة، وقلة أنسهم بموجبات تصحيحها، فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم، مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحها إذا أنس بالعلم.

وقد قال بعضهم: (طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله). ومعناه صارت عاقبته أن صار لله.

لكن يجب على المعلم إذا أشعر من المتعلم فساد النية أن يستدرجه بالموعظة الحسنة، وينبهه على خطر العلم الذي لا يراد به الله، ويتلو عليه من الاخبار الواردة في ذلك حالا فحالا، حتى يقوده إلى القصد الصحيح، فإن لم ينجع ذلك، ويئس منه منعه من التعلم، فإن العلم لا يزيده إلا شرا.

وإلى ذلك أشار علي عليه السلام بقوله: (**لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير**).

السادس: بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به، فإن الله سبحانه أخذ على العلماء من العهود والمواثيق ما أخذه على الأنبياء ليُبَيِّنُنه للناس ولا يكتمونه.

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: (**قرأت في كتاب علي عليه السلام: إن الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل**).

وعنه عليه السلام في تفسير هذه الآية: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾ قال: (**ليكن الناس عندك في العلم سواء**).

وعن أبي جعفر عليه السلام: (**زكاة العلم أن تعلِّمه عباد الله**).

السابع: أن يحترز من مخالفة أفعاله لأقواله وإن كانت على الوجه الشرعي مثل أن يحرم شيئاً ويفعله، أو يوجب شيئاً ويتركه، أو يندب إلى فعل شيء ولا يفعله، وإن كان فعله ذلك مطابقا للشرع بحسب حاله، فإن الاحكام الشرعية تختلف باختلاف الاشخاص، كما لو أمر بتشييع الجنائز وباقي أحكامهم، وأمر بالصيام وقضاء حوائج المؤمنين وأفعال البر وزيارة قبور الأنبياء والائمة عليهم السلام، ولم يفعل ذلك، لاشتغاله بما هو أهم منه بحيث ينافي

اشتغاله بما يأمر به ماهو فيه، والحال أنه أفضل أومتعين، وحينئذ فالواجب عليه مع خوف التباس الأمر أن يبين الوجه الموجب للمخالفة دفعا للوسواس الشيطاني من قلب السامع، كما اتفق للنبي ﷺ حين رآه بعض أصحابه ليلا يمشي مع بعض نسائه إلى منزلها، فخاف أن يتوهم أنها ليست من نسائه فقال له: (إن هذه زوجتي فلانة) ونبهه على العلة، لخوفه عليه من تلبيس إبليس عليه. وان كان الواجب على السامع من أول الأمر ترك الاعتراض عند اشتباه الحال بل عند احتمال المسوغ، إلى أن يتحقق الفساد.

وبالجملة: فمثل العالم والمتعلم في انتقاشه بأخلاقه وأفعاله، مثل الفص والشمع، فإنه لا ينقش في الشمع إلا ما هو منقوش في الفص.

الثامن: إظهار الحق بحسب الطاقة من غير مجاملة لأحد من خلق الله تعالى، فإذا رأى من أحد ميلا عن الحق أو تقصيرا في الطاعة وعظه باللطف ثم بالعنف، فإن لم يقبل هجره، فإن لم ينجع توصل إلى نهيه ورده إلى الحق بمراتب الأمر بالمعروف. وهذا حكم يختص بالعالم زيادة في التكليف عن غيره، وإن شاركه غيره من المكلفين في أصل الوجوب، لأن العالم بمنزلة الرئيس الذي إليه الأمر والنهي ولقوله أثر في القلوب، فعليه في ذلك زيادة تكليف، ولذلك قال النبي ﷺ: (**إذا ظهرت البدع في أمتي، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله**).

وما جاءت الغفلة في الغالب واستيلاء الجهالة، والتقصير عن معرفة الفرائض الدينية، والقيام بالوظائف الشرعية والسنن الحنيفية وأداء الصلوات على وجهها، إلا من تقصير بعض المتعلمين ممن يسمون أنفسهم بالعلماء من إظهار الحق على وجهه، وإتعاب النفس في إصلاح الخلق وردهم إلى سلوك سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة. بل لا يكتفي علماء السوء بالتقصير عن ذلك حتى يمالئون الظلمة على الباطل ويؤانسوهم، فتزيد رغبة الجاهل وانهماك الفاسد، ويقل وقار العالم ويذهب ريح العلم.

فيجب كفاية أن يكون في كل بلد وقرية واحد يعلم الناس دينهم، باذلا نفسه للارشاد والتعليم باللطف، متوصلا إليه بالرفق وكل ما يكون وسيلة إلى قبولهم، وأهمه قطع طمعه عنهم وعن أموالهم، فإن من علموا منه الرغبة في شيء من ذلك زهدوا فيه وفي علمه، واضمحل أمرهم بسبب ذلك، وأما إذا قصد وجه الله تعالى وامتثال أمره، وقع ذلك في قلوب الخاصة والعامة، وانقادوا لامره واستقاموا على نهج السداد.

وهذا كله إذا لم يكن عليه خطر، ولا على أحد من المسلمين ضرر في ذلك وإلا فالله أحق بالعذر.

القسم الثاني: في آداب المعلم مع طلبته

ويجمعها أمور:

الأول: أن يؤدبهم على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية، ورياضة النفس بالآداب الدينية، والدقائق الخفية، ويعودهم الصيانة في جميع أمورهم الكامنة والجلية، سيما إذا آنس منهم رشدا، وأول ذلك أن يحرِّض الطالب على الاخلاص لله تعالى في عمله وسعيه، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، وأن يكون دائما على ذلك حتى الممات، ويعرفه أن بذلك ينفتح عليه أبواب المعارف وينشرح صدره، وينفجر من قلبه ينابيع الحكمة واللطائف، ويبارك له في حاله وعلمه، ويوفق للاصابة في قوله وفعله وحكمه، ويتلو عليه الآثار الواردة في ذلك ويضرب له الامثال الدالة على ما هنالك ويزهده في الدنيا، ويصرفه عن التعلق بها والركون إليها والاغترار بزخرفها ويذكره أنها فانية وأن الآخرة باقية، والتأهب للباقي والاعراض عن الفاني هو طريق الحازمين ودأب عباد الله الصالحين، وأنها إنما جعلت ظرفا ومزرعة لاقتناء الكمال ووقتا للعلم والعمل فيها، وليحرز ثمرته في دار الاقبال بصالح الاعمال.

الثاني: أن يرغبهم في العلم ويذكرهم بفضائله وفضائل العلماء، وأنهم ورثة الأنبياء (صلى الله عليهم)، وأنهم على منابر من نور يغبطهم الأنبياء

والشهداء، ونحو ذلك مما ورد في فضائل العلم والعلماء من الآيات والاخبار والاشعار والامثال، ففي الأدلة الخطابية والأمارات الشعرية هزٌّ عظيم للنفوس الإنسانية. ويرغبهم مع ذلك بالتدريج على ما يعين عليه من الاقتصار على الميسور، وقدر الكفاية من الدنيا والقناعة بذلك عما يشغل القلب من التعلق بها، وتفريق الهم بسببها.

الثالث: أن يستعلم أسماء طلبته وحاضري مجلسه وأنسابهم وكناهم ومواطنهم وأحوالهم، ويكثر الدعاء لهم[1].

الرابع: أن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر، فإن ذلك من تمام الايمان ومقتضى المواساة، ففي صحيح الاخبار: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه**).

ولا شك أن المتعلم أفضل الإخوان بل الأولاد، كما سيأتي، فإن العلم قرب روحاني وهو أجل من الجسماني، وعن ابن عباس: (أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليَّ، لو استطعت أن لا يقع الذباب

---

١ – عن أبي عبدالله عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**إذا أحب أحدكم أخاه المسلم فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإن من حقه الواجب وصدق الاخاء أن يسأله عن ذلك، وإلا فإنها معرفة حمق**).

عليه لفعلت). وفي رواية: (إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني).

وعن محمد بن مسلم قال: (دخل رجل من أهل الجبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له عند الوداع: أوصني.

فقال: **(عليك بتقوى الله وبر أخاك المؤمن، وأحب له كما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه، وإن كف عنك فاعرض عليه، ولا تمله خيرا، وإنه لا يمل لك، كن له عضدا، وإنه لك عضد، وإن وجد عليك فلا تفارقه حتى تسل سخيمته، وإن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فاكفه، واعضده وآزره وأكرمه والطفه، فإنه منك وأنت منه)**.

وكل خبر ورد في حقوق الإخوان آت هنا مع زيادة.

الخامس: أن يزجره عن سوء الأخلاق، وارتكاب المحرمات والمكروهات، أو ما يؤدي إلى فساد حال أو ترك اشتغال أو إساءة أدب، أو كثرة كلام لغير فائدة، أو معاشرة من لا تليق به عشرته، أو نحو ذلك بطريق التعريض ما أمكن، لا بطريق التصريح مع الغنى عنه، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الاصرار.

وانظر إلى إرشاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وتلطفه مع الأعرابي الذي بال في

المسجد[١]، ومع معاوية بن الحكم لما تكلم في الصلاة[٢].

فإن انزجر لذكائه بما ذكر من الاشارة فبها ونعمت، وإلا نهاه سراً، فإن لم ينته نهاه جهراً، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال، لينزجر هو وغيره، ويتأدب به كل سامع، فإن لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والاعراض عنه إلى أن يرجع، سيما إذا خاف على بعض رفقته من الطلبة موافقته.

وكذلك يتعهد ما يعامل به بعض الطلبة بعضا من إفشاء السلام وحسن التخاطب في الكلام، والتحابب والتعاون على البر والتقوى، وعلى ما هم بصدده.

١- دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فقال: اللهم اغفرلي ولمحمد ولا تغفر لاحد معنا. فضحك رسول الله ﷺ وقال: (**لقد احتظرت واسعاً**). ثم ولى حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول، فقال الاعرابي بعد أن فقه: فقام إليَّ بأبي وأمي، فلم يؤنب ولم يسب فقال: (**إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بني لذكر الله وللصلاة**)، ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بولي.

٢- عن معاوية بن الحكم السلمي قال: لما قدمت على رسول الله ﷺ علمت أمورا من أمور الإسلام، فكان فيما علمت أن قال لي: (**إذا عطست فاحمد الله، وإذا عطس العاطس فحمد الله فقل يرحمك الله**). قال: فبينما أنا قائم مع رسول الله ﷺ في الصلاة إذ عطس رجل فحمد الله، فقلت: يرحمك الله، رافعا بها صوتي، فرماني الناس بأبصارهم حتى احتملني ذلك، فقلت: ما لكم تنظرون إليّ بأعين شزر؟ قال: فسبحوا، فلما قضى رسول الله ﷺ فقال: (**الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله عزّ وجل، فإذا كنت فيها فليكن ذلك شأنك**)، فما رأيت معلما قط أرفق من رسول الله ﷺ.

وبالجملة: فكما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى، يعلمهم مصالح دنياهم لمعاملة الناس، فيكمل لهم فضيلة الحالتين.

السادس: أن لا يتعاظم على المتعلمين، بل يلين لهم ويتواضع، قال الله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

وقال النبي ﷺ: (**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا**).

وقال ﷺ: (**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**).

وعنه ﷺ: (**لينوا لمن تعلمون، ولمن تتعلمون منه**).

وقد تقدم خبر عيسى عليه السلام مع الحواريين وغسله أقدامهم، وغيره من الاخبار.

هذا في التواضع لمطلق الناس، فكيف بهؤلاء الذين هم معه كالأولاد، مع ما هم عليه من ملازمتهم له، واعتمادهم عليه في طلب العلم النافع، ومع ما هم عليه من حق الصحبة وحرمة التردد وشرف المحبة وصدق التودد.

فعلى المعلم تحسين خلقه مع المتعلمين زيادة على غيرهم، والتلطف بهم إذا لقيهم، والبشاشة وطلاقة الوجه وإظهار البشر وحسن المودة وإعلام المحبة وإظهار الشفقة، والاحسان إليهم بعلمه وجاهه حسب ما يمكن.

وينبغي أن يخاطب كلّاً منهم سيما الفاضل المتميز بكنيته ونحوها من أحب الأسماء إليه، وما فيه تعظيم له وتوقير، فلقد كان رسول الله ﷺ يكني أصحابه إكراما لهم، فإن ذلك ونحوه أشرح لصدورهم، وأبسط لسؤالهم، وأجلب لمحبتهم. ويزيد في ذلك من يرجو فلاحه ويظهر صلاحه، وليمتثل وصية رسول الله ﷺ في قوله: (**إن الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً**).

وفي الخبر عنه ﷺ: (**علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف**).

وبالجملة: فالعالِم بالنسبة إلى المتعلم كالطبيب للمريض، فكل ما يرجو به شفاءه فليفعله، فإن داء الجهالة النفسانية أقوى من الادواء البدنية.

وقد يتفق كون خلاف ما ذكرناه هو الصلاح والدواء، كما يختلف ذلك باختلاف الامزجة والطباع.

السابع: وهو من جنس السابق إذا غاب أحد منهم أو من ملازمي الحلقة زائدا على العادة يسأل عنه وعن أحواله وموجب انقطاعه، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه، أو قصد منزله بنفسه، وهو أفضل، كما كان يفعل رسول الله ﷺ مع أصحابه، فإن كان مريضا عاده أو في غم خفض عنه، أو مسافرا تفقد أهله ومن يتعلق به ويسأل عنهم، وتعرض لحوائجهم ووصلهم بما

أمكن، وإن لم يحتاجوا إليه في شيء تودد ودعا.

الثامن: أن يكون سمحاً ببذل ما حصّله من العلم، سهلاً بإلقائه إلى مبتغيه متلطفاً في إفادة طالبيه مع رفق ونصيحة وإرشاد إلى المهمات، وتحريض على حفظ ما يبذله لهم من الفوائد النفيسات، ولا يدخر عنهم من أنواع العلم شيئاً يحتاجون إليه أو يسألون إذا كان الطالب أهلا لذلك.

وليكتم عنهم ما لم يتأهلوا له من المعارف، لأن ذلك مما يفرق الهم ويفسد الحال، فإن سأله الطالب شيئاً من ذلك نبهه على أن ذلك يضره، وأنه لم يمنعه منه شحاً بل شفقة ولطفا، ثم يرغبه بعد ذلك في الاجتهاد والتحصيل، ليتأهل لذلك وغيره.

التاسع: صدُّ المتعلم أن يشتغل بغير الواجب قبله، وبفرض الكفاية قبل فرض العين.

ومن فرض العين إصلاح قلبه وتطهير باطنه بالتقوى، ويقدم على ذلك مؤاخذته هو نفسه بذلك ليقتدي المتعلم أولاً بأعماله، ثم يستفيد ثانياً من أقواله.

العاشر: أن يكون حريصاً على تعليمهم، باذلاً وسعه في تفهيمهم وتقريب الفائدة إلى أفهامهم وأذهانهم، مهتما بذلك مؤثرا له على حوائجه ومصالحه،

ما لم يكن ضرورة إلى ما هو أرجح منه، ولا يدخر من نصحهم شيئا. ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه، ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه، ولا يبسط الكلام بسطا لا يضبطه حفظه، ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة، ويخاطب كل واحد منهم على قدر درجته وبحسب فهمه، فيلقي للمتميز الحاذق الذي يفهم المسألة فهماً محققا بالاشارة، ويوضح لغيره لا سيما متوقف الذهن، ويكررها لمن لا يفهمها إلا بتكرار، ويبدأ بتصوير المسألة ثم يوضحها بالامثلة إن إحتيج إليه، ويذكر الادلة والمآخذ لمحتملها، ويبين الدليل المعتمد ليعتمد، والضعيف لئلا يغتر به.

وينبه على غلط من غلط فيها من المصنفين في حكم، أو تخريج، أو نقل، ونحو ذلك، لغرض صحيح، لا لمجرد إظهار الخطأ والصواب، بل النصيحة، لئلا يغتر به، كل ذلك مع أهلية الملقى إليه لذلك.

الحادي عشر: أن يذكر في تضاعيف الكلام ما يناسبه من قواعد الفن الكلية التي لا تنخرم، أو يضبط مستثنياتها إن كانت، كقوله: (كل ركن تبطل الصلاة بزيادته ونقصانه مطلقا إلا مواضع مخصوصة)، ويبينها، و(كلما اجتمع سبب ومباشرة قدمت المباشرة على السبب)، و(أن الحدود تسقط بالشبهة)، ونحو ذلك.

ويبين له جُمَلاً مما ينضبط ويحتاج إليه من أصول الفقه، كترتيب الادلة

من الكتاب والسنة والاجماع والقياس على وجه والاستصحاب وأنواع الاقيسة ودرجاتها، وحدود ما ناسب تحديده، وجملة من أسماء المشهورين من الصحابة والتابعين والعلماء وتراجمهم ووفياتهم وضبط المشكل من أسمائهم وأنسابهم. والمشتبه من ذلك، والمختلف والمؤتلف منه، ونحو ذلك، وجملة من الالفاظ اللغوية والعرفية المتكررة في العلم، ضبطا لمشكلها، فيقول: هي مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة مخففة أو مشددة، ونحو ذلك، كل ذلك تدريجاً شيئاً فشيئاً، فيجتمع لهم مع طول الزمان خير عظيم.

الثاني عشر: أن يحرِّصهم على الاشتغال في كل وقت، ويطالبهم في أوقاتٍ بإعادة محفوظاتهم، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات والمباحث، فمن وجده حافظا مراعيا أكرمه وأثنى عليه، وأشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه، ومن وجده مقصرا عنَّفه في الخلوة، وإن رأى مصلحة في الملأ فعل، فإنه طبيب يضع الدواء حيث يحتاج إليه وينفع.

الثالث عشر: أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل الدقيقة والنكت الغريبة، يختبر بذلك أفهامهم ويظهر فضل الفاضل، ليتدربوا بذلك ويعتادوه، ولا يعنف من غلط منهم في ذلك إلا أن يرى في ذلك مصلحة.

وكذلك إذا فرغ من شرح درس، فلا بأس أن يطرح مسائل تتعلق به على الطلبة، وإعادة ذكر ما أشكل منه ليمتحن بذلك فهمهم وضبطهم، لما شرح

لهم، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الاصابة في جوابه شكره، ومن لم يفهمه تلطف في إعادته له.

وينبغي للشيخ أن يأمر الطلبة بالاجتماع في الدرس لما يترتب عليه من الفائدة التي لا تحصل مع الانفراد، وإعادة ما وقع من التقرير بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذهانهم.

الرابع عشر: أن ينصفهم في البحث، فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيرا، فإن ذلك من بركة العلم.

قال بعض السلف: (من بركة العلم وآدابه الانصاف، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم).

فيلازمه في بحثه وخطابه، ويسمع السؤال من مورده على وجهه وإن كان صغيرا، ولا يترفع عن سماعه، فيحرم الفائدة. ولا يحسد أحدا منهم لكثرة تحصيله أو زيادته على خاصته من ولد وغيره، فالحسد حرام فكيف بمن هو بمنزلة الولد، وفضيلته يعود إلى معلمه منها أوفر نصيب، فإنه مربيه وله في تعليمه وتخريجه في الآخرة الثواب الجزيل وفي الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجزيل.

وما رأينا ولا سمعنا بأحد من المشايخ اهتم بتفضيل ولده على غيره من

الطلبة وأفلح، بل الأمر بيد الله والعلم فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

الخامس عشر: أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة أو اعتناء مع تساويهم في الصفات من سنٍّ أو فضيلة أو ديانة، فإن ذلك ربما يوحش الصدر وينفر القلب. فإن كان بعضهم أكثر تحصيلا وأشد اجتهادا وأحسن أدبا، فأظهر إكرامه وتفضيله، وبين أن زيادة إكرامه لتلك الاسباب، فلا بأس بذلك فإنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات المرجحة.

السادس عشر: أن يقدم في تعليمهم الأهم فالأهم، فيرتب الدروس بترتيب الكتاب، فيقدم درس العبادات على درس المعاملات وهكذا، وإن رأى مع ذلك تقديم الاسبق ليحض المتأخر على التقدم كان حسنا. وينبغي أن لا يقدم أحدا في نوبة غيره، ولا يؤخره عن نوبته إلا إذا رأى في ذلك مصلحة، فإن سمح بعضهم لغيره في نوبته فلا بأس.

السابع عشر: اذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله أو تحمله طاقته وخاف ضجره، أوصاه بالرفق بنفسه وذكّره بقول النبي ﷺ: (**إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى**)، ونحو ذلك مما يحمله على الأناة والاقتصاد في الاجتهاد.

وكذلك إذا ظهر له منه نوع سأمة أو ضجر أو مبادئ ذلك، أمره بالراحة وتخفيف الاشتغال، وليزجره عن تعلُّم ما لا يحتمله فهمه أو سنه، من علم أو كتاب يقصر ذهنه عن فهمه، فإن استشاره من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة فن أو كتاب لم يشر عليه حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله، فإن لم يحتمل الحال التأخر أشار عليه بكتاب سهل من الفن المطلوب، فإن رأى فهمه جيدا وذهنه قابلا نقله إلى كتاب يليق بذهنه، وإلا تركه، لأن نقل الطالب إلى ما يدل نقله إليه على جودة ذهنه وكماله مما يزيد انبساطه ويوفر نشاطه، وإلى ما يدل على قصوره بخلاف ذلك.

ولا يمكِّن الطالب من الاشتغال في فنين أو أكثر، إذا لم يضبطهما، بل يقدم الاهم فالاهم، كما سيذكر إن شاء الله تعالى.

وإذا علم أو غلب على ظنه أنه لا يفلح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فلاحه فيه.

الثامن عشر: إذا كان متكفلا ببعض العلوم لا غير، لا ينبغي له أن يقبح في نفس الطالب العلوم التي وراءه، كما يتفق ذلك كثيرا لجهلة المعلمين، فإن المرء عدو ما جهل، كمعلم العربية والمعقول إذ عادته تقبيح الفقه، ومعلم الفقه تقبيح علم الحديث والتفسير، وأشباه ذلك وهكذا ينبغي أن يوسع على الطالب طريق التعلم في غيره، وإذا رأى مرتبة العلم الذي بيده متأخرة

عما بيد غيره يرشده إلى من بيده السابق، فإن ذلك هو الواجب من نصح المسلمين وحفظ العلم والدين، وأتم الدليل على كمال المعلم، وموجب الملكة الصالحة للمتعلم.

التاسع عشر: وهو من المهم أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره أيضاً لمصلحة راجعة إلى المتعلم، فإن هذه مصيبةٌ يبتلى بها جهلة المعلمين ومن لا يريد بعلمه وجه الله تعالى، لغباوتهم وفساد نياتهم. وهو من أوضح الادلة على عدم إرادتهم بالتعليم وجه الله الكريم وثوابه الجسيم.

فالواجب على المعلم إذا وجد من الطالب نشاطا وقوة على تعدد الدرس، ولم يقدر على تحصيل غرضه بنفسه أن يرشده ابتداء إلى من يقرأ عليه درسا آخر، فإن ذلك من تمام النصيحة ورعاية حفظ الامانة. وهذا أمر اتفق لي مع بعض مشايخي بمصر أحسن الله جزاءه.

هذا كله إذا كان المعلم الآخر الذي انتقل إليه الطالب بنفسه أهلا، أما لو كان جاهلا مع عدم علم الطالب، أو فاسقا أو مبتدعا أو كثير الغلط، ونحو ذلك بحيث يفيد الطالب ملكة ردية لا يرجح عليها ما يحصله من العلم عليه، فالتحذير من الاغترار به حسَن، مع مراعاة المقصد الصحيح المنجح، والله يعلم المفسد من المصلح.

العشرون: اذا تكمَّل الطالب وتأهل للاستقلال بالتعليم واستغنى عن التعلم، فينبغي أن يقوم المعلم بنظام أمره في ذلك، ويمدحه في المحافل، ويأمر الناس بالاشتغال عليه والاخذ عنه، فإن الجاهل بحاله قد لا يأنس ولا يطمئن به- وإن تصدى للتعليم- بدون إرشاد من هو معلوم الحال. ولينبه على حاله مفصلا ومقدار معلوماته وتقواه وعدالته، ونحو ذلك مما له مدخل في إقبال الناس على التعلم منه، فإن ذلك سبب عظيم لانتظام العلم وصلاح الحال.

كما أنه لو رأى منه ميلا إلى الاستبداد والتدريس ويعلم قصوره عن المرتبة واحتياجه إلى التعلم، ينبغي أن يقبح ذلك عنده، ويشدد النكير عليه في الخلاء، فإن لم ينجع فليظهر ذلك على وجه صحيح المقصد حتى يرجع إلى الاشتغال، ويتأهل للكمال.

ومرجع الأمر كله إلى أن المعلم بالنسبة إلى المتعلم بمنزلة الطبيب، فلا بُـدَّ له في كل وقت من تأمل العلة المحوجة إلى الاصلاح ومداواته على الوجه الذي تقتضيه العلة، وللذكي في تفصيل الحال ما لا يدخل تحت الضبط، فإن لكل مقام مقالا صالحا، ولكل مرض دواء ناجحا. والله الموفق.

القسم الثالث: آدابه في درسه

وهي أمور:

الأول: أن لا يخرج إلى الدرس إلا كامل الأهبة، وما يوجب له الوقار والهيبة في اللباس والهيأة والنظافة في الثوب والبدن، ويختار له البياض، فإنه أفضل لباسا، ولا يعتني بفاخر الثياب، بل بما يوجب الوقار وإقبال القلوب عليه، كما ورد النص به في أئمة المحافل من الاعياد والجمعات وغيرهما. وقد اشتمل كتاب الزي والتجمل والمروءة من كتاب (الكافي) على الاخبار الصحيحة في هذا الباب بما لا مزيد عليه، ويخرج التعرض له عن موضوع الرسالة. وليقصد بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة، وليتطيب ويسرح لحيته، ويزيل كل ما يشينه.

كان بعض السلف إذا جاءه الناس لطلب الحديث، يغستل ويتطيب ويلبس ثيابا جددا، ويضع رداءه على رأسه، ثم يجلس على منصة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ، ويقول: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثاني: أن يدعو عند خروجه مريداً للدرس بالدعاء المروي عن النبي صلى الله عليه وآله: **(أللهم إني أعوذ بك أن أضِلَّ أو أُضَل، أو أزِل أو أُزَل، أو أظلِم أو أُظلَم، أو**

أجهَل أو يجهلُ عليَّ، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك).

ثم يقول:(بسم الله حسبي الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم ثبت جَناني وأدر الحق على لساني)، ويديم ذكر الله تعالى إلى أن يصل إلى المجلس.

الثالث: أن يسلِّم على من حضر إذا وصل إلى المجلس، ويصلي ركعتين تحية المسجد إن كان مسجدا، وإلا نوى بهما الشكر لله تعالى على توفيقه وتأهيله لذلك،أو الحاجة إلى تسديده وتأييده وعصمته من الخطأ، أو مطلقتين، فإن (الصلاة خير موضوع) ثم يدعو بعدهما بالتوفيق والإعانة والعصمة.

الرابع: أن يجلس بسكينة ووقار وتواضع وخشوع وإطراق، ثانياً رجليه أو محتبيا، غير متربع ولا مُقْعٍ، ولا غير ذلك من الجلسات المكروهة مع الاختيار، ولا يمد رجليه ولا إحديهما من غير عذر، ولا يتكى إلى جنبه ولا وراء ظهره ونحو ذلك، كل ذلك في حال الدرس، أما في غيره فلا بأس، لأن الطلبة بمنزلة أولاده.

الخامس: قيل: يجلس مستقبل القبلة، لأنه أشرف، ولقوله ﷺ: **(خير المجالس ما استقبل بها)**. ويمكن أن يقال باستحباب استدباره لها، ليخص الطلبة بالاستقبال، لانهم أكثر، وكذا من يجلس إليهم للاستماع.

قال رسول الله ﷺ: (**إن لكل شيء شرفاً، وإن أشرف المجالس ما استُقبل به القبلة**).

السادس: أن ينوي قبل شروعه، بل حين خروجه من منزله تعليم العلم ونشره، وبث الفوائد الشرعية، وتبليغ الاحكام الدينية التي أؤتمن عليها وأمر ببيانها، والازدياد في العلم بالمذاكرة، وإظهار الصواب والرجوع إلى الحق، والاجتماع على ذكر الله تعالى، والدعاء للعلماء الماضين والسلف الصالحين، وغير ذلك مما يحضره من المقاصد. فإن بإحضارها بالبال وكثرتها يزيد ثواب العمل، فإنما الاعمال بالنيات.

وليس المراد بالنية أن يقول: أفعل كذا لاجل كذا، ويرتب لها ألفاظا مخصوصة، بل المراد بها بعث النفس وتصميم العزم على الفعل المخصوص، لغرض التقرب إلى الله تعالى وطلب الزلفى لديه، حتى لو تلفظ وقال: أفعل ذلك لله تعالى، والله مطلع على قلبه يقصد غير ذلك،كقصد الظهور في المحافل وارتفاع الصيت والترجيح على الامثال والنظراء، فهو مخادع لله تعالى، مراء للناس، والله مطلع على فساد نيته وخبث طويته، فيستحق العقوبة على هذه الذنوب وإن كانت بمظهر العبادة.

أصلح الله تعالى بفضله وكرمه أعمالنا وسددنا في أقوالنا وأخلص سرائرنا ومقاصدنا بمنه وفضله.

السابع: أن يستقر على سمت واحد مع الامكان، فيصون بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه والتقلقل، ويديه عن العبث والتشبيك بهما، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة. ويتقي كثرة المزاح والضحك، فإنه يقلل الهيبة ويسقط الحرمة، ويزيل الحشمة، ويذهب العزة من القلوب، وأما القليل من المزاح فمحمود، كما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده من الائمة المهديين، تأنيسا للجلساء وتأليفا للقلوب، وقريب منه الضحك، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يضحك حتى تبدو نواجذه. ولكن لا يعلو الصوت، والعدل التبسم.

الثامن: أن يجلس في موضع يبرز وجهه فيه لجميع الحاضرين، ويلتفت إليهم التفاتا خاصا بحسب الحاجة للخطاب ويفرق النظر عليهم، ويخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه على الوجه بمزيد التفات إليه وإقبال عليه، وإن كان صغيرا أو وضيعا، فإن تخصيص المترفعين من أفعال المتجبرين والمرائين.

التاسع: أن يحسن خلقه مع جلسائه زيادة على غيرهم، ويوقر فاضلهم بعلم أو سن أو صلاح أو شرف، ونحو ذلك، ويرفع مجالسهم على حسب تقديمهم في الامامة، ويتلطف بالباقين، ويكرمهم بحسن السلام وطلاقه الوجه والبشاشة والابتسام، وبالقيام لهم على سبيل الاحترام ولا كراهة فيه بوجه.

العاشر: أن يقدم على الشروع في البحث والتدريس تلاوة ما تيسر من القرآن العظيم تيمنا وتبركا، ويدعو عقيب القراءة لنفسه وللحاضرين ولسائر المسلمين، ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويسمي الله تعالى ويحمده، ويصلي ويسلم على النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه، ثم يدعو للعلماء الماضين والسلف الصالحين، ولمشايخه خاصة ولوالديه وللحاضرين وإن كان في مدرسة ونحوها دعا لواقف المكان، لما فيه خير عظيم وبركة، والمحل موضوع إجابة.

وقد ذكر بعض العلماء أنه يقول من جملة الدعاء: (**أللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي. اللهم أنفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال، أللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع**).

وكان بعض العلماء يختار قراءة سورة الاعلى.

وروي أن من اجتمع مع جماعة، ودعا يكون من دعائه: (**أللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا. اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقونا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثارنا على من ظلمنا، وانصرنا**

على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل دنيانا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا).

الحادي عشر: أن يتحرى تفهيم الدرس بأيسر الطرق وأعذب ما يمكنه من الالفاظ، مترسلا مبينا موضحا مقدما ما ينبغي تقديمه، مؤخرا ما بنبغي تأخيره، مرتبا من المقدمات ما يتوقف عليها تحقيق المحل، واقفا في موضع الوقف، موصلا في موضع الوصل، مكررا ما يشكل من معانيه وألفاظه مع حاجة الحاضرين أو بعضهم إليه، وإذا فرغ من تقرير المسألة سكت قليلا حتى يتكلم من في نفسه كلام عليه. ولا يذكر في الدرس شبهة في الدين ويؤخر الجواب عنها إلى درس آخر، بل يذكرهما جميعا أو يؤخرهما جميعا، سيما إذا كان الدرس يجمع الخاص والعام، ومن يحتمل أن لا يعود إلى ذلك المقام، فتقع الشبهة في نفسه ولا يتفق له جوابها، فيصير سببا في فتنته.

الثاني عشر: إذا تعددت الـدروس، فليقدم منها الاشرف فالاشرف والاهم فالاهم، فيقدم أصول الدين ثم التفسير ثم الحديث ثم أصول الفقه، ثم الفقه ثم النحو ثم المعاني، وعلى هذا قياس باقي العلوم بحسب مرتبتها، والحاجة إليها.

الثالث عشر: أن لا يطول مجلسه تطويلا يملهم، أو يمنعهم فهم الدرس أو ضبطه، لأن المقصود إفادتهم وضبطهم، فإذا صاروا إلى هذه الحالة فات

المقصود. ولا يقصره تقصيرا يخل ببعض تقريره أو ضبطه أو فهمه، لفوات المقصود، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة والتطويل، واستيفاء الاقسام في التقسيم إذا كانوا من أهله.

الرابع عشر: أن لا يشتغل بالدرس، وبه ما يزعجه ويشوش فكره، من مرض أو جوع أو عطش أو مدافعه حدث أو شدة فرح أو غم أو غضب أو نعاس أو قلق أو برد أو حر مؤلمين، حذرا من أن يقصر عن استيفاء المطلوب من البحث، أو يفتي بغير الصواب.

الخامس عشر: أن لا يكون في مجلسه ما يؤذي الحاضرين من دخان أو غبار أو صوت مزعج، أو شمس موجبة للحر الشديد، أو نحو ذلك مما يمنع من تأدية المطلوب، بل يكون واسعا مصونا عن كل ما يشغل الفكر ويشوش النفس ليحصل فيه الغرض المطلوب.

السادس عشر: مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره في النهار، إذا لم يكن عليه فيه ضرورة ولا مزيد كلفة، ومن الضرورة الاشتغال في الوقت الصالح بالمطالعة والتصنيف حيث يكون الاشتغال به أولى من التدريس.

السابع عشر: أن لا يرفع صوته زيادة على الحاجة، ولا يخفضه خفضا يمنع بعضهم من كمال فهمه، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ.

الثامن عشر: أن يصون مجلسه عن اللغط، فإن الغلط تحت اللغط، وعن رفع الاصوات وسوء الأدب في المباحثة، واختلاف جهات البحث، والعدول عن المسألة إلى غيرها قبل إكمالها.

فإذا ظهر من أحد الباحثين شيء من مبادئ ذلك تلطف في دفعه قبل انتشاره وثوران النفوس، ويذكر لجملة الحاضرين ما يقتضي قبح الانتقال المذكور، وأن المقصود اجتماع القلوب على إظهار الحق وتحصيل الفائدة والصفاء والرفق، واستفادة البعض من البعض، ويذكرهم ما جاء في ذم المماراة والمنافسة والشحناء، سيما أهل العلم المتسمين به، وأن ذلك سبب العداوة والبغضاء الموجبتين لتشويش الفكر وذهاب الدين، وأن الواجب كون الاجتماع خالصا لله تعالى ليثمر الفائدة في الدنيا والسعادة في الاخرى.

التاسع عشر: أن يزجر من تعدى في بحثه أو ظهر منه لَدَدٌ أو سوء أدب أو ترك إنصاف بعد ظهور الحق، أو أكثر الصياح بغير فائدة، أو أساء أدبه على غيره من الحاضرين أو الغائبين، أو ترفع على من هو أولى منه في المجلس، أو نام أو تحدث مع غيره حالة الدرس بما لا ينبغي، أو ضحك أو استهزأ بأحد أو فعل ما يخل بأدب الطالب في الحلقة، وسيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

هذا كله إذا لم يترتب على ذلك مفسدة تربو عليه، وهذا النوع مغاير لما مر من زجرهم وكفهم عن مساوئ الأخلاق، لأن هذا خاص بالدرس وذاك بما

يتعلق بشأن أنفسهم، وإن كان يمكن إدراجه فيه، إلا أن الاهتمام بشأنه حسَّن ذكره على الخصوص.

العشرون: أن يلازم الارفاق بهم في خطابهم وسماع سؤالهم، وإذا عجز السائل عن تقرير ما أورده أو تحرير العبارة فيه، لحياء أو قصور ووقع على المعنى، عبَّر عن مراده أولاً، وبيَّن وجه إيراده، وأجاب بما عنده.

وإن اشتبه عليه مراده سأله عن الامور التي يحتمل إرادته لها، فيقول له: أتريد بقولك كذا؟ فان قال: نعم. أجابه، وإلا ذكر محتملا آخر. وإن سأل عن شيء ركيك،فلا يستهزئ به ولا يحتقر السائل، فإن ذلك أمر لا حيلة فيه، ويتذكر أن الجميع كانوا كذلك ثم تعلموا وتفقهوا.

الحادي والعشرون: أن يتودد لغريبٍ حضر عنده، وينبسط له لينشرح صدره، فإن للقادم دهشة سيما بين يدي العلماء. ولا يكثر النظر والالتفات إليه استغرابا له، فإن ذلك يخجله ويمنعه من المسألة والمشاركة في البحث إن كان من أهله.

الثاني والعشرون: إذا أقبل بعض الفضلاء، وقد شرع في مسألة أمسك عنها حتى يجلس، وإن جاء وهو يبحث أعادها له أو مقصودها، وإذا أقبل وقد بقي للفراغ وقيام الجماعة بقدر ما يصل إلى المجلس، فليؤخر تلك البقية،

ويشتغل عنها ببحث أو غيره إلى أن يجلس ثم يعيدها أو يتمم تلك البقية، كيلا يخجل المقبل بقيامهم عند جلوسه.

الثالث والعشرون: وهو من أهم الآداب إذا سئل عن شيء لا يعرفه، أو عرض في الدرس ما لا يعرفه، فليقل: لا أعرفه، أو لا أتحققه، أو لا أدري، أو حتى أراجع النظر في ذلك.

ولا يستنكف عن ذلك، فمِن عِلْم العالِم أن يقول فيما لا يعلم: لا أعلم، والله أعلم.

قال الإمام علي عليه السلام: (**إذا سئلتم عما لا تعلمون فاهربوا**)، قالوا: وكيف الهرب؟ قال: (**تقولون: الله أعلم**).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (**ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم. إن الرجل ليشرع بالآية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السماء والارض**).

وعن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: ما حق الله على العباد؟ قال: (**أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عند ما لا يعلمون**).

وعن الصادق عليه السلام: (**إن الله خص عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردوا ما لم يعلموا، قال الله عزوجل: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ**

مِيثَاقُ الكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الحَقَّ﴾. وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾).

وعن ابن عباس ﷺ: (إذا ترك العالم قول "لا أدري" أصيبت مقاتله).

وعن ابن مسعود ﷺ: (إذا سُئل أحدُكم عما لا يدري، فليقل: لا أدري، فإنه ثلث العلم).

وقال آخر: (لا أدري، ثلث العلم).

وقال بعض الفضلاء: (ينبغي للعالم أن يورث أصحابه "لا أدري") ومعناه أن يكثر منها، لتسهل عليهم ويعتادوها، فيستعملوها في وقت الحاجة.

وقال آخر: (تعلَّم "لا أدري"، فإنك إن قلت: لا أدري، علَّموك حتى تدري، وإن قلت: أدري، سألوك حتى لا تدري).

واعلم أن قول العالم: (لا أدري) لا يضع منزلته، بل يزيدها رفعة ويزيده في قلوب الناس عظمة، تفضلاً من الله تعالى عليه، وتعويضا له بالتزامه الحق، وهو دليل واضح على عظمة محله وتقواه وكمال معرفته، ولا يقدح في المعرفة الجهل بمسائل معدودة، وإنما يستدل بقوله: "لا أدري" على تقواه، وأنه لا يجازف في فتواه، وأن المسألة من مشكلات المسائل، وإنما يمتنع من "لا أدري" من قَلَّ عِلْمُه، وعُدِمت تقواه وديانته، لأنه يخاف لقصوره أن يسقط

من أعين الناس، وهذه جهالة أخرى منه، فإنه بإقدامه على الجواب فيما لا يعلم، يبوء بالاثم العظيم، ولا يصرفه عما عرف به من القصور، بل يستدل به على قصوره، ويظهر الله تعالى عليه ذلك بسبب جرأته على التقول في الدين، تصديقا لما ورد في الحديث القدسي: (**من أفسد جوّانيَّه أفسد الله برّانيَّه**).

ومن المعلوم أنه إذا رؤي المحققون يقولون في كثير من الاوقات: "لا أدري" وهذا المسكين لا يقولها أبداً، يعلم أنهم يتورعون لدينهم وتقواهم، وأنه يجازف لجهله وقلة دينه، فيقع فيما فرَّ منه، واتصف بما احترز عنه، لفساد نيته وسوء طويته. وقد قال النبي ﷺ: (**المتشبع بما لم يعطَ كلابس ثوبَيْ زور**).

وقد أدّب الله تعالى العلماء بقصة موسى والخضر عليهما السلام -حين لم يَرُدَّ موسى عليه السلام العلم إلى الله تعالى لما سئل: هل أحد أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إلى موسى: بل عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه- بما حكاه الله عنهما من الآيات المؤذنة بغاية الذل من موسى عليه السلام وغاية العظمة من الخضر عليه السلام. وسيأتي إن شاء الله تعالى في هذه الرسالة جملة من نكت القصة.

الرابع والعشرون: أنه إذا اتفق له تقرير أو جواب توهمه صوابا، يبادر إلى التنبيه على فساده وتبيين خطائه قبل تفرق الحاضرين، ولا يمنعه الحياء أو غيره من المبادرة، وتحمله النفس الامارة بالسوء على التأخير إلى وقت آخر خال، فإنه من خدع النفس وتلبيس إبليس لعنه الله. وفيه ضرر عظيم من

وجوه كثيرة:

منها: استقرار الخطأ في قلوب الطلبة.

ومنها: تأخير بيان الحق مع الحاجة إليه.

ومنها: خوف عدم حضور بعض أهل المجلس في الوقت الآخر فيستمر الخطأ في فهمه.

ومنها: طاعة الشيطان في الاستمرار على الخطأ، وهو موجب لطمعه فيه مرة ثانية وهلمّ جرا. ومع تأديته للواجب من ذلك يفيد الطالبين ملكة صالحة تعقب خيرا عظيما يكون الراجع سببا فيه، فيشارك في أجره، مضافا إلى ما استحقه من الاجر بفعل ما يجب عليه، فقد غنمت حركته وربحت تجارته برجوعه إلى الحق، ويرفعه الله تعالى بسبب ذلك، خلاف ما يظنه الجاهل ويتوهمه الاحمق الغافل.

الخامس والعشرون: التنبيه عند فراغ الدرس أو إرادته بما يدل عليه إن لم يعرفه القارئ -أي الطالب-، وقد جرت عادة السلف أن يقولوا حينئذ: (والله أعلم) وقال بعض العلماء: الأولى أن يقال قبل ذلك كلام يشعر بختمه الدرس، كقوله: هذا آخره، أو ما بعده يأتي إن شاء الله تعالى، ونحو ذلك، ليكون قوله (والله أعلم) خالصا لذكر الله تعالى ولقصد معناه.

ولهذا ينبغي أن يستفتح كل درس بـ (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**)، ليكون ذاكـرا لله تعالى في بدايته وخاتمته، وإذا جعل الذكر دليلا على الفراغ لم يتمحض له.

السادس والعشرون: أن يختم الدرس بذكر شيء من الرقائق والحكم والمواعظ وتطهير الباطن، ليتفرقوا على الخشوع والخضوع والاخلاص، فإن البحث يورث في القلوب قوة، وربما أعقب قسوة، فليحركه في كل وقت إلى الاقبال، ويلاحظه بالاستكمال، ولاشيء أصلح من تلك الحالة.

هذا كله إذا لم يكن بعد ذلك دروس حاضرة بحيث يكون الاشتغال بها أولى، فيؤخر ذلك إلى الآخر حسب ما يقتضيه الحال.

السابع والعشرون: أن يختم المجلس بالدعاء كما بدأ به، بل هو الآن أولى وأقرب إلى الاجابة، لما قد غشيهم من الرحمة وخصهم من المثوبة، وليتضمن دعاؤهم الائمة الراشدين والعلماء السابقين، وتعميم جماعة المسلمين، وأن يجعل أعمالهم خالصة لوجه الله، مقربة إلى مرضاته.

وقد ورد أن النبي ﷺ كان يختم مجلسه بالدعاء، وأنه ﷺ كان إذا فرغ من حديثه، وأراد أن يقوم من مجلسه يقول: (**أللهم اغفر لنا ما أخطأنا وما تعمدنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**).

الثامن والعشرون: أن يمكث قليلا بعد قيام الجماعة، فإن فيه فوائد وآداباً له ولهم:

منها: إن كان في نفس أحد منهم بقايا سؤال تأخر.

ومنها: إن كان لأحد به حاجة، وقد صبر عليها حتى فرغ يذكرها له.

ومنها: عدم مزاحمتهم ورفع الكلفة عنهم بخروجه قبلهم، وخفق النعال خلفه، وهو آفة عظيمة خطرة.

ومنها: عدم ركوبه بينهم إن كان يركب، إلى غير ذلك.

التاسع والعشرون: أن ينصِّب لهم نقيباً فَطِناً كَيِّساً يرتب الحاضرين، ومن يدخل عليه على قدر منازلهم، ويوقظ النائم وينبه الغافل، ويشير إلى ما ينبغي فعله وتركه، ويأمر بسماع الدروس والانصات إليها لمن لا يعرف، وكذلك ينصِّب لهم رئيسا آخر يعلم الجاهل، ويعيد درس من أراد، ويرجع إليه في كثير ما يستحيى أن يلقى به العالم من مسألة أو درس، فإن فيه ضبطا لوقت العالم، وصلاحا لحال المتعلم.

الثلاثون: أن يقول إذا قام من مجلسه: (**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين**).

النوع الثالث

في الآداب المختصة بالمتعلم

وهي تنقسم كما مر إلى ثلاثة أقسام: آدابه في نفسه، وآدابه مع شيخه، وآدابه في مجلس درسه.

القسم الأول: آدابه في نفسه

وهي أمور:

الأول: أن يحسن نيته، ويطهر قلبه من الأدناس، ليصلح لقبول العلم وحفظه واستمراره، وقد تقدم ما يدل عليه، ولكن أعيد هنا لينبه على كونه من أسباب التحصيل، وهناك من أسباب الفائدة الأُخروية.

قال بعض الكاملين: (تطييب القلب للعلم كتطييب الأرض للزراعة، فبدونه لا تنمو ولا تكثر بركته ولا يزكو، كالزرع في أرض بائرة غير مطيبة).

وقال النبي ﷺ: (**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**).

الثاني: أن يغتنم التحصيل في الفراغ والنشاط وحالة الشباب وقوة البدن ونباهة الخاطر وسلامة والحواس وقلة الشواغل وتراكم العوارض، سيما قبل

ارتفاع المنزلة والاتسام بالفضل والعلم، فإنه أعظم صاد عن درك الكمال، بل سبب تام في النقصان والاختلال.

قال بعضهم: (تفقهوا قبل أن تسودوا). أي تصيروا سادة فتأنفوا من التعلم أو تستحيوا منه بسبب المنزلة فيفوتكم العلم.

وقال آخر: تفقه قبل أن تترأس، فإذا رأست، فلا سبل إلى التفقه.

وجاء في الخبر: (**مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء**).

وعن ابن عباس ﷺ: (ما أوتي عالم علماً إلا وهو شاب، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: وآتيناهُ الحكمَ صبياً).

وهذا باعتبار الغالب، وإلا فمن كبر لا ينبغي له أن يحجم عن الطلب، فإن الفضل واسع والكرم وافر والجود فائض، وأبواب الرحمة والهبات مفتحة، فإذا كان المحل قابلا تمت النعمة وحصل المطلوب.

قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً**﴾.

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿**فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً**﴾، إلى غير ذلك.

وقد اشتغل جماعة من السلف في حال كبرهم فتفقهوا وصاروا أساطين في الدين وعلماء مصنفين في الفقه وغيره، فليغتنم العاقل عمره، وليحرز شبابه عن التضييع، فإن بقية العمر لا ثمن لها كما قيل:

بقية العمر عندي ما لها ثمن وما مضى غير محمود من الزمن

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحيا ما أمات ويمحو السوء بالحسن

الثالث: أن يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغلة، والعلائق المانعة عن تمام الطلب وكمال الاجتهاد، وقوة الجد في التحصيل، ويرضى بما تيسر من القوت وإن كان يسيرا، وبما يستر مثله من اللباس وإن كان خَلِقا، فبالصبر على ضيق العيش تنال سعة العلم، ويجمع شمل القلب عن مفترقات الآمال، ليتفجر عنه ينابيع الحكمة والكمال.

قال بعض السلف: (لا يطلب أحد هذا العلم بعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح).

وقال أيضاً: (لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس)، فقيل: ولا الغني المكفي؟ فقال: (ولا الغني المكفي).

وقال آخر: (لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضرُّ به الفقر، ويؤثره على كل شيء).

وقال بعضهم: (لا ينال هذا العلم إلا من عطّل دكّانه، وخرّب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته).

وهذا كله وإن كان فيه مبالغة، فالمقصود به أنه لا بد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر.

وبالغ بعض المشايخ فقال لبعض طلبته: اصبغ ثوبك حتى لا يشغلك فكر غسله.

ومن هنا قيل: (العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك).

الرابع: أن يترك التزوج حتى يقضي وطره من العلم، فإنه أكبر شاغل وأعظم مانع، بل هو المانع جملة.

وهذا أمر وجداني مجرب واضح لا يحتاج إلى الشواهد التي منها تشويش الفكر بهمِّ الأولاد والأسباب، ومن المثل السائر: (لو كُلِّفت بصلة ما فهمت مسألة).

ولا يغتر الطالب بما ورد في النكاح من الترغيب، فإن ذلك حيث لا يعارضه واجب أولى منه، ولا شيء أولى ولا أفضل ولا واجب أضيق من العلم، سيما في زماننا هذا، فإنه وإن وجب على الأعيان والكفاية على تفصيل، فقد وجب في زماننا هذا على الأعيان مطلقاً، لأن فرض الكفاية إذا لم يقم به

من فيه كفاية، يصير كالواجب العيني في مخاطبة الكل به، وتأثيمهم بتركه، كما هو محقق في الأصول.

الخامس: أن يترك العشرة مع من يشغله عن مطلوبه، فإن تركها من أهم ما ينبغي لطالب العلم، ولا سيما لغير الجنس، وخصوصا لمن قلت فكرته، وكثر تعبه وبطالته، فإن الطبع سراق، وأعظم آفات العشرة ضياع العمر بغير فائدة، وذهاب العرض والدين إذا كانت لغير أهل.

والذي ينبغي لطالب العلم، أن لا يخالط إلا لمن يفيده أو يستفيد منه، فإن احتاج إلى صاحب، فليختر الصاحب الصالح الدَّيِّن التقي الذكي، الذي إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه، وإن ضجر صبَّره، فيستفيد من خلقه ملكة صالحة، فإن لم يتفق مثل هذا، فالوحدة ولا قرين السوء.

السادس: أن يكون حريصاً على التعلم، مواظبا عليه في جميع أوقاته: ليلا ونهاراً، سفراً وحضراً، ولا يذهب شيئاً من أوقاته في غير طالب العلم إلا بقدر الضرورة لما لا بد منه من أكل ونوم واستراحة يسيرة، لإزالة الملل ومؤانسة زائر، وتحصيل قوت، وغيره مما يحتاج إليه، أو لألم وغيره، مما يتعذر معه الاشتغال، فإن بقية العمر لا ثمن لها، ومن استوى يوماه فهو مغبون، وليس بعاقل من أمكنه الحصول على درجة ورثها الأنبياء ثم فوتها.

ومن هنا قيل: (لا يستطاع العلم براحة الجسد).

وقيل: (الجنة حُفّت بالمكاره).

وقيل: (ولا بد دون الشهد من ألم النحل).

وقيل: **لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا**

السابع: أن يكون عالي الهمة، فلا يرضى باليسير مع إمكان الكثير، ولا يسوِّف في اشتغاله، ولا يؤخر تحصيل فائدة،وإن قلَّت، تمكن منها، وإن علم حصولها بعد ساعة، لأن للتأخير آفات، ولانه في الزمن التالي يحصل غيرها، حتى لو عرض له مانع عن الدرس، فليشتغل بالمطالعة والحفظ بجهده، ولا يربط شيئاً بشيء.

وليعلم أنه إن أراد التأخير إلى زمن يكمل فيه الفراغ، فهذا زمن لم يخلقه الله تعالى بعد، بل لا بد في كل وقت من موانع وعوائق وقواطع، فقاطع ما أمكنك منها قبل أن يقطعك كلها، كما ورد في الخبر: (الوقت سيف، فإن قطعته والا قطعك).

الثامن: أن يأخذ في ترتيب التعلم بما هو الأولى، ويبدأ فيه بالاهم فالاهم فلا يشتغل في النتائج قبل المقدمات، ولا في اختلاف العلماء في العقليات والسمعيات قبل إتقان الإعتقاديات، فإن ذلك يحير الذهن ويدهش العقل.

وإذا اشتغل في فن، فلا ينتقل عنه حتى يتقن فيه كتابا، أو كتبا إن أمكن، وهكذا القول في كل فن.

وليحذر التنقل من كتاب إلى كتاب، ومن فن إلى غيره من غير موجب، فإن ذلك علامة الضجر وعدم الفلاح، فإذا تحققت أهليته، وتأكدت معرفته، فالأولى له أن لا يدع فنّاً من العلوم المحمودة، ونوعا من أنواعها إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقاصده وغايته.

ثم إن ساعده العمر وأنهضه التوفيق، طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم فالأهم، فإن العلوم متقاربة وبعضها مرتبط ببعض غالباً.

واعلم أن العمر لا يتسع لجميع العلوم، فالحزم أن يأخذ من كل علم أحسنه، ويصرف جمام قواه في العلم الذي هو أشرف العلوم، وهو العلم النافع في الآخرة مما يوجب كمال النفس وتزكيتها بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، ومرجعه إلى معرفة الكتاب والسنة، وعلم مكارم الأخلاق وما ناسبه.

القسم الثاني: آدابه مع شيخه وقدوته

وما يجب عليه من تعظيم حرمته

قال الصادق عليه السلام: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا، وخصه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك، ولا تشر بيدك، ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان، خلافا لقوله، ولا تضجر لطول صحبته، وإنما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله).

وفي حديث الحقوق الطويل المروي عن سيد العابدين عليه السلام: (وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والاقبال عليه، وألا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدِّث في مجلسه أحدا، ولا تغتاب عنده أحدا، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوا، ولا تعادي له وليا، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله عزّ وجل بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جلَّ اسمه لا للناس).

إذا تقرر ذلك، فلنعد إلى ذكر الآداب المختصة بالمتعلم مع شيخه، حسب ما قرره العلماء، تفريعا على المنصوص منها، وهي أمور:

الأول: وهو أهمها: أن يقدّم النظر فيمن يأخذ عنه العلم، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، فإن تربية الشيخ لتلميذه، ونسبة إخراجه لاخلاقه الذميمة وجعل مكانها خلقاً حسناً، كفعل الفلاح الذي يقلع الشوك من الأرض، ويخرج منها النباتات الخبيثة من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه.

وليس كل شيخ يتصف بهذا الوصف، بل ما أقل ذلك، فإنه في الحقيقة نائب عن رسول الله ﷺ، وليس كل عالم يصلح للنيابة، فليختر من كملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، وعرفت عفته، واشتهرت صيانته وسيادته، وظهرت مروته، وحسن تعليمه، وجاد تفهيمه، وقد تقدم جملة أوصافه.

ولا يغتر الطالب بمن زاد علمه مع نقص في ورعه أو دينه أو خلقه، فإن ضرره في خلق المتعلم ودينه أصعب من الجهل الذي يطلب زواله، وأشد ضررا، وعن جماعة من السلف: (هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم).

ومما يؤنس به أن يكون له مع مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع وزيادة ممارسة وثناء منهم على سمته وخلقه وبحثه، وليحترز ممن أخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءة على الشيوخ، خوفا من وقوعه في التصحيف والغلط والتحريف.

قال بعض السلف: (من تفقه من بطون الكتب ضيّع الأحكام).

وقال آخر: (إياكم والصحفيون الذين يأخذون علمهم من الصحف، فإن ما يفسدون أكثر مما يصلحون).

وليحذر من التقييد بالمشهورين، وترك الاخذ من الخاملين، فإن ذلك من الكِبر على العلم، وهو عين الحماقة، لأن الحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، ويغتنمها حيث ظفر بها، ويتقلد المنَّة ممن ساقها إليه، وربما يكون الخامل ممن ترجى بركته، فيكون النفع به أعـم، والتحصيل من جهته أتم.

وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع غالباً إلا إذا كان للشيخ من التقوى والنصح والشفقة للطلبة نصيب وافر، وكذلك إذا اعتبرت المصنفات، وجدت الانتفاع بتصنيف الاتقى أوفر، والفلاح بالاشتغال به أكثر، وبالعكس حال العالم المجرد.

الثاني: أن يعتقد في شيخه أنه الاب الحقيقي والوالد الروحاني، وهو أعظم من الوالد الجسماني، فيبالغ -بعد الاب- في حقه، كما تقدم في رعاية حق أبوته ووفاء حق تربيته.

وقد سئل الاسكندر: (ما بالك توقر معلمك أكثر من والدك؟ فقال: لأن المعلم سبب لحياتي الباقية، ووالدي لحياتي الفانية).

وقد روي أن السيد الرضي الموسوي (قدس الله روحه) كان عظيم النفس عالي الهمة أبيّ الطبع لا يقبل لأحد منَّة، وله في ذلك قصص غريبة منها مع الخليفة العباسي حين أراد صلته بسبب مولود ولد له، وغيره، ومنها أن بعض مشايخه قال له يوماً: بلغني أن دارك ضيقة لا تليق بحالك، ولي دار واسعة صالحة لك، قد وهبتها لك فانتقل إليها.

فأبى، فأعاد عليه الكلام، فقال: يا شيخ أنا لم أقبل بر أبي قط، فكيف من غيره؟

فقال له الشيخ: إن حقي عليك أعظم من حق أبيك، لأني أبوك الروحاني، وهو أبوك الجسماني.

فقال السيد رحمه الله: قد قبلتُ الدار.

ومن هنا قال بعض الفضلاء:

من علّم العلم كان خير أب ذاك أبو الروح لا أبو النطف

الثالث: أن يعتقد أنه مريض النفس، لأن المرض هو الانحراف عن المجرى الطبيعي. وطبع النفس العلم، وإنما خرجت عن طبعها بسبب غلبة أخلاط القوى البدنية.

ويعتقد أن شيخه طبيب مرضه، لأنه يرده إلى المجرى الطبيعي. فلا ينبغي أن يخالفه فيما يشير عليه، كأن يقول له: اقرأ الكتاب الفلاني، أو اكتف بهذا القدر من الدرس، لأنه إن خالفه كان بمنزلة المريض يرد على طبيبه في وجه علاجه. وقد قيل في الحكم: مراجعة المريض طبيبه توجب تعذيبه.

وكما أن الواجب على المريض ترك تناول المؤذيات، والاغذية المفسدة للدواء في حضرة الطبيب وغيبته، كذلك المتعلم، فيجب أن يطهر نفسه من النجاسة المعنوية، التي غاية المعلم النهي عنها: من الحقد والحسد والغضب والشره والكبر والعجب، وغيرها من الرذائل، ويقطع مادة المرض رأساً لينتفع بالطبيب.

الرابع: أن ينظره بعين الاحترام والإجلال والإكرام. ويضرب صفحاً عن عيوبه، فإن ذلك أقرب إلى انتفاعه به، ورسوخ ما يسمعه منه في ذهنه.

ولقد كان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء، وقال: (اللهم استر عيب معلمي عني، ولا تذهب ببركة علمه مني).

وقال آخر: (كنت أصفح الورقة بين يدي شيخي صفحا رفيقا، هيبة له لئلا يسمع وقعها).

وقال آخر: (والله ما أجترأت أن أشرب الماء وشيخي ينظر إلي، هيبة له).

الخامس: أن يتواضع له زيادة على ما أمربه من التواضع للعلماء وغيرهم، ويتواضع للعلم، فبتواضعه له يناله، وليعلم أن ذله لشيخه عز، وخضوعه له فخر وتواضعه له رفعة، وتعظيم حرمته مثوبة، والتشمر في خدمته شرف.

وقد قال النبي ﷺ: (**تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تَعلَّمون منه**).

وقال ﷺ: (**من علَّم أحدا مسألة ملك رقه. قيل: أيبيعه ويشتريه؟ قال: بل يأمره وينهاه**).

وأنشد بعض العلماء:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

السادس: أن لا ينكر عليه، ولا يتآمر ولا يشير عليه بخلاف رأيه، فيرى أنه أعلم بالصواب منه، بل ينقاد إليه في أموره كلها، ويلقي إليه زمام أمره

رأساً، ويذعن لنصحه، ويتحرى رضاه وإن خالف رأي نفسه، ولا يستبق معه رأياً ولا اختياراً، ويشاوره في أموره كلها، ويأتمر بأمره، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره باللسان والقلب.

قال بعض العلماء: (خطأ المرشد أنفع للمسترشد من صوابه في نفسه).

السابع: أن يبجله في خطابه وجوابه، في غيبته وحضوره، ولا يخاطبه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه من بعد، بل يقول: (ياسيدي) و(يا أستاذ) وما أشبه ذلك.

ويخاطبه بصيغ الجمع تعظيماً نحو: (ما تقولون في كذا؟) و(ما رأيكم في كذا؟) و(قلتم رضي الله عنكم) أو (تقبل الله منكم) أو (رحمكم الله).

ولا يسميه في غيبته باسمه إلا مقروناً بما يشعر بتعظيمه، كقوله: (قال الشيخ)، أو (الأستاذ)، أو (شيخنا)، أو (شيخ الإسلام)، ونحو ذلك.

الثامن: تعظيم حرمته في نفسه واقتداؤه به، ومراعاة هديه في غيبته وبعد موته، فلا يغفل عن الدعاء له مدة حياته، ويرد غيبته، ويغضب لها زيادة عما يجب رعايته في غيره، فإن عجز عن ذلك قام وفارق المجلس.

ويرعى ذريته وأقاربه، وأوِدّاءه ومحبيه في حياته وبعد موته، ويتعاهد زيارة قبره والاستغفار له، والترحم عليه والصدقة عنه، ويسلك في السمت

والهدي مسلكه، ويراعي في العلم والدين عادته، ويقتدي بحركاته وسكناته في عباداته وعاداته، ويتأدب بآدابه، ومِن ثَمَّ كان الأهم تحصيل شيخ صالح ليحسن الاقتداء به.

ثم إن قدر على الزيادة عليه بعد الاتصاف بصفته فعل، وإلا اقتصر على التأسي، فبه يظهر أثر الصحبة.

التاسع: أن يشكر الشيخ على توفيقه له على ما فيه فضيلة، وعلى توبيخه له على ما فيه نقيصة، أو كسل يعتريه، أو قصور يعانيه، أو غير ذلك مما في ايقافه عليه، وتوبيخه إرشاد، وصلاحه.

ويعد ذلك من الشيخ من جملة النعم عليه باعتناء الشيخ به ونظره إليه، فإن ذلك أميل لقلب الشيخ، وأبعث له على الاعتناء بمصالحه.

وإذا وقفه الشيخ على دقيقة من أدب، أو نقيصة صدرت منه، وكان يعرف ذلك من قبل، فلا يظهر أنه كان عارفاً به وغفل عنه، بل يشكر الشيخ على إفادته ذلك واعتنائه بأمره، ليكون بذلك مستدعيا للعود إلى النصيحة في وقت الحاجة، فإن كان له في ذلك عذر، وكان إعلام الشيخ به أصلح، فلا بأس به وإلا فيتركه، إلا أن يترتب على ترك بيان العذر مفسدة، فيتعين إعلامه به.

العاشر: أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه، أو سوء خلق، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته واعتقاد كماله، ويتأول أفعاله التي ظاهرها مذموم على أحسن تأويل وأصحه، فما يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق.

ويبدأ هو عند جفوة شيخه بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب فيه عليه، فإن ذلك أبقى لمودة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في آخرته ودنياه.

وعن بعض السلف: (من لم يصبر على ذُلِّ التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة).

ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس ﷺ: (ذللت طالباً، فعززت مطلوباً).

وقال بعضهم: (مثل الذي يغضب على العالم مثل الذي يغضب على أساطين الجامع).

ولبعضهم:

اصبر لدائك إن جفوت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلما

وللسلف الصالح في صبرهم مع مشايخهم أقاصيص غريبة، لو أتينا عليها لطال الخطب.

الحادي عشر: أن يجتهد على أن يسبق بالحضور إلى المجلس قبل حضور الشيخ، ويحمل على ذلك نفسه، ويحترز عن أن يتأخر في الحضور عن حضور الشيخ، فيدع الشيخ في انتظاره، فإن فاعل ذلك من غير ضرورة أكيدة معرض نفسه للمقت والذم. نسأل الله العافية.

حكى ياقوت في معجمه عن هارون بن موسى القيسي القرطبي، قال:

كنا نختلف إلى أبي علي القالي وقت املائه (النوادر) بجامع الزهراء ونحن في فصل الربيع، فبينما أنا يوماً في بعض الطريق إذا أخذتني سحابة، فما وصلت إلى مجلسه حتى ابتلت ثيابي كلها، وحول أبي علي أعلام أهل البلد، فأمرني بالدنو منه، وقال لي: مهلاً يا أبا نصر، لا تأسف على ما عرض، فهذا شيء يضمحل ويزول بسرعة بثياب غيرها تبدلها.

ثم قال: كنت أختلف إلى ابن مجاهد، فادلجت عليه، لا تقرب منه، فلما انتهيت إلى الدرب الذي كنت أخرج منه إلى منزله ألفيته مغلقاً وتعسر عليَّ فتحه، فقلت: سبحان الله! أبكر هذا البكور، وأغلب على القرب منه، فنظرت إلى سرب بجنب الدرب فاقتحمته، فلما توسطت ضاق بي، ولم أقدر على الخروج، ولا على الدخول فاقتحمته أشد اقتحام، حتى تخلصت بعد أن تخرقت ثيابي وأثر السرب في لحمي حتى انكشف العظم، ومَنَّ الله بالخروج، فوافيت مجلس الشيخ على تلك الحال.

ثم قال: فأين أنت مما عرض لي؟

ثم أنشد بيت الحماسة:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الازرا

وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم وفاز بالمجد من وافى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

الثاني عشر: أن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام بغير إذنه، سواء كان الشيخ وحده أم معه غيره، فإن استأذن بحيث يعلم الشيخ ولم يأذن، انصرف ولا يكرر الاستيذان.

وإن شك في علم الشيخ به كرره ثلاثاً، ولا يزيد في الاستيذان عليها، أو ثلاث طرقات بالباب أو بالحلقة، وليكن طرق الباب خفياً بأظفار الأصابع، ثم بالأصابع، ثم بالحلقة قليلاً قليلاً، فإن كان الموضع بعيداً عن الباب، فلا بأس برفع ذلك ابتداء بقدر ما يسمع لا غير.

وإن أذن وكانوا جماعة تقدم أفضلهم فأسنهم بالدخول والسلام عليه، ثم يسلم عليه الافضل فالافضل.

الثالث عشر: أن يدخل على الشيخ كامل الهيأة فارغ القلب من الشواغل، نشيطا منشرح الصدر صافي الذهن، لا في حال نعاس أو غضب أو جوع أو

عطش، ونحو ذلك، متطهراً متنظفاً، بعد استعمال ما يحتاج إليه من سواك وأخذ ظفر وشعر، وإزالة رائحة كريهة، لابساً أحسن ملبوسه، سيما إذا كان يقصد مجلس العلم، فإنه مجلس ذكر، واجتماع في عبادة، وهذه الأمور من آدابها.

الرابع عشر: أن لا يقرأ على الشيخ عند شغل قلبه وملله ونعاسه وجوعه وعطشه واستيفازه وألمه وقائلته، ونحو ذلك مما يشق عليه فيه البحث. اللهم إلا أن يبتدئه الشيخ بطلب القراءة، فليجبه كيف كان.

الخامس عشر: إذا دخل على الشيخ في غير المجلس العام، وعنده من يتحدث معه فسكتوا عن الحديث، أو دخل والشيخ وحده يصلي أو يقرأ أو يذكر أو يطالع أو يكتب، فترك ذلك ولم يبدأ بكلام أو بسط حديث، فليسلم ويخرج سريعا، إلا أن يحثه الشيخ على المكث، فإذا مكث فلا يطيل، إلا أن يأمره بذلك، خشية أن يدخل في عداد من أشغل مشغولاً بالله أدركه المقت في الوقت.

السادس عشر: إذا حضر مكان الشيخ فلم يجده انتظره، ولا يفوت على نفسه درسه، فإن كل درس يفوت لا عوض له، ولا يطرق عليه ليخرج إليه. وإن كان نائما صبر حتى يستيقظ، أو ينصرف ثم يعود، والصبر خير له، ولا يوقظه ولا يأمر به. هكذا كان السلف يفعلون.

السابع عشر: أن لا يطلب من الشيخ إقراء في وقت يشق عليه فيه أو لم تجر عادته بالإقراء فيه، ولا يخترع عليه وقتا خاصا به دون غيره وإن كان رئيسا، لما فيه من الترفع والحمق على الشيخ والطلبة والعلم.

وربما استحيا الشيخ منه، فيترك لاجله ما هو أهم عنده في ذلك الوقت، فلا يفلح الطالب. فإن بدأه الشيخ بوقت معين أو خاص لعذر عائق له عن الحضور مع الجماعة، أو لمصلحة رآها فلا بأس.

الثامن عشر: أن يجلس بين يديه جلسه الأدب بسكون وخضوع وإطراق رأس وتواضع وخشوع. والأولى له الافتراش أو التورك.

قيل: ويحسن هنا الاقعاء، وهو أن يفرش قدميه ويجلس على بطونهما، ويتعاهد تغطية أقدامه وإرخاء ثيابه.

التاسع عشر: وهو من جنس ما قبله: أن لا يستند بحضرة الشيخ إلى حائط أومخدة، ونحو ذلك، أو يجعل يده عليه، ولايعطي الشيخ جنبه أو ظهره، ولايعتمد على يده إلى ورائه أو جنبه أو ظهره، ولايضع رجله أو يده أو شيئاً من بدنه أو ثيابه على ثياب الشيخ أو وسادته أو سجادته.

قال بعضهم: (ومن تعظيم الشيخ أن لا يجلس إلى جانبه ولا على مصلاه أو وسادته.

وإن أمره الشيخ بذلك، فلا يفعل إلا إذا جزم به جزماً يشق عليه مخالفته، فلا بأس من امتثال أمره في تلك الحال، ثم يعود إلى ما يقتضيه الأدب).

العشرون: وهو من أهمها: أن يصغي إلى الشيخ ناظراً إليه، ويقبل بكُلّيته عليه، متعقلاً لقوله، بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام، ولا يلتفت من غير ضرورة وينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو أمامه لغير حاجة، ولا سيما عند بحثه معه أو كلامه له، فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه، ولا يضطرب لضجة يسمعها، ولا يلتفت إليها سيما عند بحثه.

ولا ينفض كميه، ولا يحسر عن ذراعيه، ولا يومىء بيده إلى وجه الشيخ أو صدره، ولا يمس بها شيئاً من بدنه أو ثيابه، ولا يعبث بيديه أو رجليه، أو غيرهما من أعضائه، ولا يضع يده على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه.

ولا يفتح فاه، ولا يقرع سنه، ولا يضرب الأرض براحته، أو يخط عليها بأصابعه، ولا يشبك بيديه، ولا يعبث بأزراره، ولا يفرقع أصابعه، بل يلزم سكون بدنه.

ولا يكثر التنحنح من غير حاجة، ولا يبصق ولا يمتخط، ولا يتنخع ما أمكنه، ولا يلفظ النخامة من فيه، بل يأخذها منه بمنديل ونحوه، ولا

يتجشأ، ولا يتمطى، ولا يكثر التثاؤب، وإذا تثاءب ستر فاه بعد رده جهده، وإذا عطس حفظ صوته جهده، وستر وجهه بمنديل ونحوه.

وذلك كله مما يقتضيه النظر المستقيم والذوق السليم.

الحادي والعشرون: وهو من جنس ما قبله: أن لا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة، ولا يسار في مجلسه، ولا يغمز أحداً، ولا يكثر كلامه بغير ضرورة، ولا يحكي ما يضحك منه، أو ما فيه بذاءة، أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب، بل ولا يتكلم بما لم يسأله، ولا يتكلم ما لم يستأذنه أولاً، ولا يضحك لغير عجب، ولا لعجب دون الشيخ، فإن غلبه تبسم تبسما بغير صوت البتة.

وليحذر كل الحذر من أن يغتاب أحداً في مجلسه، أو ينمَّ له عن أحد، أو يوقع بينه وبين أحد بنقل ما يسوؤه عنه، كاستنقاص به أو تكلم فيه ورد ما قاله، أو يقول كالحاث له على الاعتناء بأمره: فلان يود أن أقرأ عليه، أو أردت أن أقرأ على فلان وتركت لأجلك، أو نحو ذلك..

ففاعل ذلك وأمثاله مع كونه ارتكب مكروها أو حراما أو كبيرة، مستحق للزجر والاهانة والطرد والبعد، لحماقته ورئائه، وقد تقدم في حديث علي عليه السلام ما يدل على ذلك.

الثاني والعشرون: أن يحسن خطابه مع الشيخ بقدر الامكان، ولا يقول له: (لِـمَ؟) و: (لا نسلم)، ولا: (مَن نقل هذا؟)، ولا: (أين موضعه؟) وشبه ذلك، فإن أراد استفادة أصله أو من نقله، تلطف في الوصول إلى ذلك، ثم هو في مجلس آخر أولى على سبيل الاستفادة.

وإذا أصر الشيخ على قول أو دليل ولم يظهر له، أو على خلاف صواب سهوا، فلا يغير وجهه أو عينيه، ولا يشير إلى غيره كالمنكر لما قال، بل يأخذه ببشر ظاهر، وإن لم يكن الشيخ مصيبا، لغفلة أو سهو أو قصور نظر في تلك الحال، فإن العصمة في البشر للأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

وليحذر من مفاجأة الشيخ بصورة رد عليه، فإنه يقع ممن لا يحسن الأدب من الناس كثيراً، مثل أن يقول له الشيخ: (أنت قلت كذا؟) فيقول: (ما قلت كذا)، أو يقول له الشيخ: (مرادك في سؤالك كذا)، أو (خطر لك كذا؟) فيقول: (لا)، أو (ما هذا مرادي)، أو (ما خطر لي هذا)، وشبه ذلك، بل طريقه أن يتلطف بالمكاشرة على المقصود في الجواب.

وكذلك إذا استفهمه الشيخ استفهام تقرير وجزم كقوله: (ألم تقل كذا؟) أو (أليس مرادك كذا؟) فلا يبادر بالرد عليه بقوله: (لا)، ونحو ذلك، بل يسكت أو يورّي عن ذلك بكلام لطيف يفهم الشيخ قصده منه، فإن لم يكن بد من تحرير قصده وقوله، فليقل: (الآن أقول كذا)، أو (أعود إلى قصد

كذا). ويعيد كلامه، ولا يقول: (الذي قلته)، أو (الذي قصدته)، لتضمنه الرد عليه.

الثالث والعشرون: وهو من جنس ما قبله: إذا ذكر الشيخ تعليلاً وعليه تعقب، ولم يتعقبه، أو بحثاً وفيه إشكال، ولم يستشكله، أو إشكالاً وعنه جواب، ولم يذكره، فلا يبادر إلى ذكر ذلك، ولا إلى التعقب على الشيخ بسبب إهماله له، بل له أن يشير إلى ذلك بألطف إشارة، كقوله: (ما لمحتم عن الإشكال جواباً مثلاً)، ونحو ذلك، فإن تذكر الشيخ فبها ونعمت، وإلا فالأوْلى السكوت عن ذلك، إلا أن يأذن الشيخ، أو يعلم منه أنه يؤثر ذلك منه.

الرابع والعشرون: وهو من جنس ما قبله أيضاً: أن يتحفظ من مخاطبة الشيخ بما يعتاده بعض الناس في كلامه ولا يليق خطابه به، مثل: (أيش بك؟)، و(فهمت؟)، و(سمعت؟) و(تدري؟) و(يا رجل؟) ونحو ذلك.

وكذلك لا يحكي ما خوطب به غيره مما لا يليق خطاب الشيخ به، وإن كان حاكيا، مثل: قال فلان لفلان: (أنت قليل الحياء)، (أنت قليل البر)، و(ما عندك خير)، و(أنت قليل الفهم) ونحو ذلك..

بل يقول -إذا أراد الحكاية- ما جرت العادة بالكناية به، مثل: قال فلان

لفلان: (الأبعد قليل الخير)، و(ما عند الأبعد خير)، ومثل هذه الكناية وردت في بعض الأخبار أيضاً، أو يأتي بضمير الغائب مكان ضمير المخاطب، وشبه ذلك.

الخامس والعشرون: إذا سبق لسان الشيخ إلى تحريف كلمة يكون لها توجيه مستهجن، أو نحو ذلك، أن لا يضحك ولا يستهزئ، ولا يعيدها كأنه يتبادر بها عليه، ولا يغمز غيره ولا يشير إليه، بل ولا يتأمل ما صدر منه، ولا يدخله قلبه ولا يصغي إليه سمعه، ولا يحكيه لأحد، فإن اللسان سباق، والإنسان غير معصوم، لا سيما فيما هو فيه معذور.

وفاعلُ شيءٍ مما ذكر مع شيخه معرّضٌ نفسه للحرمان والبلاء والخسران، مستحق للزجر والتأديب والهجر والتأنيب، مع ما يستوجبه من مقت الله سبحانه له وملائكته وأنبيائه وخاصته.

السادس والعشرون: أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة أو جواب سؤال منه أو من غيره، لا سيما إذا كان من غيره وتوقف، ولا يساوقه فيه، ولا يظهر معرفته به أو إدراكه له قبل الشيخ، إلا أن يعلم من الشيخ إيثار ذلك منه، أو عرض الشيخ عليه ذلك ابتداء والتمسه منه، فلا بأس به حينئذ.

السابع والعشرون: أن لا يقطع على الشيخ كلامه أي كلام كان، ولا يسابقه فيه ولا يساوقه به، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ثم يتكلم.

ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه أو مع جماعة المجلس، بل لا يجعل همه سوى الاصغاء إلى قول الشيخ وفهمه.

الثامن والعشرون: إذا سمع الشيخ يذكر حكما في مسألة، أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية، أو ينشد شعرا، وهو يحفظ ذلك، أن يصغي إليه إصغاء مستفيد له في الحال، متعطش إليه فرح به، كأنه لم يسمعه قط.

قال بعض السلف: إني لأسمع الحديث من الرجل، وأنا أعلم به منه، فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئا.

وقال أيضاً: إن الشاب ليتحدث بحديث، فأستمع له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد.

فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له، فلا يجيب بـ (نعم) لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه، ولا يقول: (لا) لما فيه من الكذب، بل يقول: (أحب أن أستفيده من الشيخ)، أو: (أسمعه منه)، أو: (بَعُدَ عهدي به)، أو: (هو من جهتكم أصح)، ونحو ذلك.

فإن علم من حال الشيخ أنه يؤثر العلم بحفظه له مسرة به، أو أشار إليه بإتمامه امتحاناً لضبطه أو حفظه أو لإظهار تحصيله، فلا بأس باتباع غرض الشيخ ابتغاءً لمرضاته وازدياداً لرغبته فيه.

التاسع والعشرون: أنه لا ينبغي له أن يكرر سؤال ما يعلمه، ولا استفهام ما يفهمه، فإنه يضيع الزمان.

قال بعض السلف: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر.

وينبغي أن لا يقصر في الإصغاء والتفهم، أو يشغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد الشيخ ما قاله، لأن ذلك إساءة أدب، بل يكون كما مر مصغياً لكلامه حاضر الذهن لما يسمعه من أول مرة.

وكان بعض المشايخ لا يعيد لمثل هذا إذا استعاده ويزبره عقوبة له. أما إذا لم يسمع كلام الشيخ لبعده، أو لم يفهمه مع الاصغاء إليه والإقبال عليه، فله أن يسأل الشيخ إعادته أو تفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف.

الثلاثون: أن لا يسأل عن شيء في غير موضعه، ففاعل ذلك لا يستحق جوابا. إلا أن يعلم من حال الشيخ أنه لا يكره ذلك، ومع ذلك فالأولى أن لا يفعل، ولا يلح عليه في السؤال إلحاحا مضجرا، ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ مقصده.

وقد حكي عن بعض الأجلاء أنه أوصى بعض طلبته فقال: لا تسألني عن أمر الدين وأنا ماشٍ، ولا وأنا أتحدث مع الناس، ولا وأنا قائم، ولا وأنا متكئ، فإنَّ هذه أماكن لا يجتمع فيها عقل الرجل، لا تسألني إلا وقت اجتماع العقول.

الحادي والثلاثون: أن يغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه، ويتلطف في سؤاله، ويحسن في جوابه، قال ﷺ: (**الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم**).

الثاني والثلاثون: أن لا يستحيي من السؤال عما أشكل عليه، بل يستوضحه أكمل استيضاح، فمن رقَّ وجهه رَقَّ علمه، ومن رق وجهه عند السؤال، ظهر نقصه عند اجتماع الرجال.

قال الصادق عليه السلام: (**إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة**).

الثالث والثلاثون: إذا قال له الشيخ: أفهمت؟ فلا يقول: نعم، قبل أن يتضح له المقصود إيضاحاً جلياً، لئلا يكذب ويفوته الفهم، ولا يستحي من قوله: لم أفهم، لأن استثباته يحصل له مصالح عاجلة وآجلة..

فمن العاجلة: حفظ المسألة وسلامته من الكذب والنفاق بإظهار فهم ما لم يكن فهمه، واعتقاد الشيخ اعتناؤه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكته لنفسه.

ومن الآجلة: ثبوت الصواب في قلبه دائما، واعتياده هذه الطريقة المرضية والاخلاق الرضية.

قال الخليل بن أحمد العروضي رحمه الله: (منزلة الجهل بين الحياء والأَنَفَة).

الرابع والثلاثون: أن يكون ذهنه حاضراً في جهة الشيخ، بحيث إذا أمره بشيء، أو سأله عن شيء، أو أشار إليه لم يحوجه إلى إعادته ثانياً، بل يبادر إليه مسرعاً ولم يعاوده فيه.

الخامس والثلاثون: إذا ناوله الشيخ شيئاً تناوله باليمنى، وإذا ناوله هو شيئاً ناوله إياه باليمنى، فإن كان ورقة يقرأها أو قصة مثلاً نشرها، ثم دفعها إليه، ولا يدفعها إليه مطوية، إلا إذا علم أو ظن إيثار الشيخ لذلك، وإذا أخذ من الشيخ ورقة، بادر إلى أخذها منشورة قبل أن يطويها، ثم يطويها هو.

وإذا ناول الشيخ كتاباً ناوله إياه مهيئاً لفتحه والقراءة فيه، من غير احتياج إلى إدارته، فإن كان للنظر في موضع معين، فليكن مفتوحاً كذلك، ويعيِّن له المكان.

ولا يرمي إليه الشيء رمياً من كتاب أو ورقة أو غيرهما، ولا يمد يده إليه إذا كان بعيداً، ولا يحوج الشيخ إلى مدِّ يده أيضاً لأخذه منه أو إعطائه، بل يقوم إليه قائما، ولا يزحف زحفاً، وإذا قام أو جلس بين يديه لشيء من ذلك، فلا يقرب منه كل القرب، ولا يضع رجله أو يده أو شيئاً من بدنه أو ثيابه على ثياب الشيخ أو وسادته ونحوهما، كما تقدم.

السادس والثلاثون: إذا ناوله قلما ليكتب به، فليعده قبل إعطائه إياه للكتابة، ويتفقد أوصافه.

السابع والثلاثون: إذا ناوله سجادة ليصلي عليها نشرها أوّلاً، وأولى منه أن يفرشها هو عند قصد ذلك.

قال بعض العلماء: وإذا فرشها، وكان فيها صورة محراب تحرى به القبلة إن أمكن، وإن كانت مثنيَّة جعل طرفيها إلى يسار المصلي.

ولا يجلس بحضرة الشيخ على سجادة، ولا يصلي عليها إذا كان المكان طاهراً، إلا إذا اطّردت العادة باستصحابها واستعمالها بحيث لا يكون شعاراً على الأكابر والمترفعين، كما يتفق ذلك ببعض البلاد.

الثامن والثلاثون: إذا قام الشيخ بادر القوم إلى أخذ السجادة إن كانت مما تنقل له، وإلى الأخذ بيده أو عضده إن احتاج إليه، وإلى تقديم نعله إن لم يشق ذلك على الشيخ، ويقصد بذلك كله التقرب إلى الله تعالى بخدمته والقيام بحاجته.

وقد قيل: أربعة لا يأنف الشريف منهن، وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم الذي يتعلم منه، والسؤال عما لا يعلم، وخدمته للضيف.

التاسع والثلاثون: أن يقوم لقيام الشيخ، ولا يجلس وهو قائم، ولا يضطجع وهو قائم أو قاعد، بل لا يضطجع بحضرته مطلقاً، إلا أن يكون في

وقت نوم ويأذن له، والأجود حينئذ أن لا ينام حتى ينام الشيخ إلا أن يأمره بالنوم فيطيعه.

الأربعون: إذا مشى مع شيخه، فليكن أمامه بالليل ووراءه بالنهار، إلا أن يقتضي الحال خلاف ذلك لزحمة أو غيرها، أو يأمره الشيخ بحالة فيمتثلها.

ويتعين أن يتقدم عليه في المواطئ المجهولة الحال لوحل أو حوض مثلا، والمواطئ الخطرة، ويحترز من ترشيش ثياب الشيخ، وإذا كان في زحمة، صانه عنها بيديه، إما من قدامه أو من ورائه.

وإذا مشى أمامه التفت إليه بعد كل قليل، فإن كان وحده والشيخ يكلمه، حالة المشي، وهما في ظل، فليكن عن يمينه كالمأموم مع الإمام، ويخلي له الجانب اليسار، لعله يبصق أو يمتخط.

وقيل: عن يساره متقدماً عليه قليلاً ملتفتاً إليه، ويُعْلِم الشيخ بمَن قرب منه أو قصده من الأعيان إن لم يعلم الشيخ به، ولا يمشي إلى جانبه إلا لحاجة أو إشارة منه، ويحترز من مزاحمته بكتفه أو بركابه إن كاناً راكبين، وملاصقة ثيابه، ويؤثره بجهة الظل في الصيف، وبجهة الشمس في الشتاء، وبجهة الجدار في الرصافات ونحوها، وبالجهة التي لا تقرع الشمس فيها وجهه إذا التفت إليه.

ولا يمشي بينه وبين من يحدثه، ويتأخر عنهما إذا تحدثا، أو يتقدم، ولا يقرب ولا يستمع ولا يلتفت، فإن أدخلاه في الحديث فليأت من جانب آخر ولا يشق بينهما.

وإذا مشى مع الشيخ اثنان، فاكتنفاه فالأَوْلى أن يكون أكبرهما عن يمينه، وإن لم يكتنفاه تقدم أكبرهما وتأخر الأصغر.

وإذا صادف الشيخ في طريقه بدأه بالسلام، ويقصده إن كان بعيداً، ولا يناديه، ولا يسلم عليه من بعيد ولا من ورائه، بل يقرب منه ثم يسلم.

ولا يشير ابتداء بالأخذ في طريق حتى يستشيره ويبادر فيما يستشيره فيه مطلقاً بالرد إلى رأيه، إلا أن يلزمه بإظهار ما عنده، أو يكون ما رآه الشيخ خطأ، فيظهر ما عنده بتلطُّف وحسن أدب، كقوله: يظهر أن المصلحة في كذا، ولا يقول: الرأي عندي كذا، أو الصواب كذا، ونحو ذلك.

واعلم أن هذه الآداب مما قد دل النص على جملة منها، بل على أشرفها وأهمها، والباقي مما يستنبط منه بإحدى الطرق التي تبني عليها الأحكام التي أحدها مراعاة العادة المحكمة في مثل ذلك، والله الموفق.

***

وفيما حكاه الله عزّ وجل عن موسى عليه السلام حين خاطب الخضر عليه السلام بقوله: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾، وفي قوله: ﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ الله صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً**﴾، جملة جليلة من الآداب الواقعة من المتعلم لمعلمه، مع جلالة قدر موسى عليه السلام وعظم شأنه، وكونه من أولي العزم من المرسل..

ثم لم يمنعه ذلك من استعمال الآداب اللائقة بالمعلم، وإن كان المتعلم أكمل منه من جهات أخرى.

ونحن نشير إلى ما يتعلق بالكلمة الأولى، وهي قوله: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾، فقد دلت على اثنتي عشرة فائدة من فوائد أدب المتعلم مع شيخه:

الأولى: جعل نفسه تبعاً له، المقتضي لانحطاط المنزلة في جانب المتبوع.

الثانية: الاستيذان بـ (هل) أي: هل تأذن لي في اتباعك، وهو مبالغة عظيمة في التواضع.

الثالثة: تجهيل نفسه والاعتراف لمعلمه بالعلم بقوله (على أن تعلمن).

الرابعة: الاعتراف له بعظيم النعمة بالتعليم، لأنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله تعالى به، أي يكون إنعامك علي كإنعام الله عليك.

ولهذا المعنى قيل: (أنا عبد من تعلمت منه). و: (من علَّم إنساناً مسألة مَلَكَ رِقَّه).

الخامسة: أن المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير، لكونه فعله لا لوجه آخر، ودل ذلك على أن المتعلم يجب عليه من أول الأمر التسليم، وترك المنازعة.

السادسة: الإتيان بالمتابعة من غير تقييد بشيء بل اتباعا مطلقا، لا يقيد عليه فيه بقيد، وهو غاية التواضع.

السابعة: الابتداء بالاتباع، ثم بالتعليم، ثم بالخدمة، ثم بطلب العلم.

الثامنة: أنه قال: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ**﴾: أي لم أطلب على تلك المتابعة إلا التعليم، كأنه قال: لا أطلب منك على تلك المتابعة مالاً ولا جاهاً.

التاسعة: قوله: ﴿**مِمَّا عُلِّمْتَ**﴾ إشارة إلى بعض ما علم، أي لا أطلب منك المساواة، بل بعض ما علمت، فأنت أبداً مرتفع عليَّ زائد القدر.

العاشرة: قوله: ﴿**مِمَّا عُلِّمْتَ**﴾، اعتراف بأن الله علَّمه، وفيه تعظيم للمعلم والعلم، وتفخيم لشأنهما.

الحادية عشرة: قوله ﴿**رُشْداً**﴾ طلب الإرشاد، وهو ما لولا حصوله

لغوى وضل، وفيه اعتراف بشدة الحاجة إلى التعلم، وهضم عظيم لنفسه، واحتياج بيّن لعلمه.

الثانية عشرة: أن قوله ﴿أَتَبِعُكَ﴾ يدل على طلب متابعته مطلقا في جميع الامور غير مقيد بشيء دون شيء.

الثالثة عشرة: ورد أن الخضر عليه السلام علم أوّلاً أنه نبي بني إسرائيل، موسى عليه السلام صاحب التوراة الذي كلّمه الله عزّ وجل بغير واسطة، وخصه بالمعجزات، وقد أتى مع هذا المنصب بهذا التواضع العظيم بأعظم أبواب المبالغة، فدل على أن هذا هو الأليق..

لأن من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فيشتد طلبه لها، ويكون تعظيمه لأهل العلم أكمل.

ثم مع هذه المعرفة من الخضر عليه السلام وهذه الغاية من الأدب والتواضع من موسى عليه السلام أجابه بجواب رفيع وكلام منيع، مشتمل على العظمة والقوة، وعدم الأدب مع موسى عليه السلام، بل وصفه بالعجز وعدم الصبر، بقوله: إنك لن تستطيع معي صبراً.

وقد دلت هذه الكلمة الوجيزة أيضاً على فوائد كثيرة من أدب المعلم وإعزازه للعلم وإجلاله لمقامه، على وجه يقتضي التأسي به، ولا دخل له بهذا

الباب، لكنا نذكر جملة منه لمناسبة المقام، وله مدخل واضح في أصل الرسالة.

ويمكن أن نعنون هذا المطلب بـ (**عزة نفس المعلم**):

عزة نفس المعلم

الأولى: وصفه بعدم الصبر على تعلم العلم، المقتضي لانحطاط قدره وسقوط محله، بالاضافة إلى مقام الصابرين الذين وعدهم الله تعالى بالكرامة، وبشرهم بالصلاة والرحمة.

الثانية: نفيه عنه الاستطاعة على الصبر، الموجب لقطع طمعه في السعي عليه والاتصاف به وتحصيل أسبابه، وهو في الاغلب أمر مقدور للبشر، وكان غاية ما يقتضي الحال من المعلم توصيته بالصبر لا تعجيزه عنه.

الثالثة: نفي الاستطاعة بـ (لَن) المقتضية للنفي المؤبد على رأي جماعة من المحققين منهم الزمخشري، وهو موجب لليأس منه، لوقوع الإخبار به من معلم متبوع صادق.

الرابعة: توكيد الجملة بـ (إن)، واسمية الجملة، والنفي بـ (لَن) وغيرها من المؤكدات، وهو غاية عظيمة في التعجيز والتضعيف.

الخامسة: الإشارة إلى أنك إن تخيَّل لك أنك صابر على حسب ما تجده من نفسك، فأنت لا تعلم حالك عند صحبتي، لأنك لم تصحبني بعد، والصبر الذي أنفيه عنك هو الصبر معي، وهذا أمر أنا أعلم به، لعلمي بمقدار ما تطلب تعلمه، وجهلك به.

السادسة: التنبيه على عظم قدر العلم وجلالة شأنه وتفخيم أمره، وأنه أمر يحتاج إلى الصبر العظيم، الخارج عن عادات البشر، إذ لا شك أن موسى عليه السلام كليمُ الله ونبيه أعظم شأناً وأكبر نفساً وأقوى صبراً وأعظم كمالاً من غيره من الناس.

السابعة: التنبيه على أنه لا ينبغي أن يبذل العلم إلا لمن كان ذا صبر قوي، ورأي سوي، ونفس مستقيمة، فإنه نور من الله تعالى، لا ينبغي وضعه كيف اتفق، وبذله لمن أراد، بل لا بد من ممارسته قبل ذلك واختباره، وقابليته له بكل وجه.

الثامنة: التنبيه على أن علم الباطن أقوى مرتبة من علم الظاهر، وأحوج إلى قوة الجنان وعزيمة الصبر، فمِنْ ثَمَّ كان موسى عليه السلام محيطاً بعلم الظاهر على حسب استعداده، وحاملاً له بقوة، وخوَّفه الخضر عليه السلام مع ذلك من عجزه من الصبر على تحمل العلم الباطني، وحذره من قلة الصبر.

وأراد عليه السلام بهذه المبالغة في نفيه أنه مما يشق تحمله عليك، ويعسر تجشمه، على جهة التأكيد في أمثال هذه الخطابيات، لا أنه غير مقدور البتة، وإلا لما قال له موسى عليه السلام بعد ذلك: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً﴾.

القسم الثالث: آدابه في درسه وقراءته وما يعتمده حينئذ مع شيخه ورفقته

وهو أمور:

الأول: وهو أهمها، أن يبتدئ أوّلاً بحفظ كتاب الله تعالى العزيز حفظا متقنا، فهو أصل العلوم وأهمها، وكان السلف لا يعلِّمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن.

وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بغيره اشتغالا يؤدي إلى نسيان شيء منه أو تعريضه للنسيان، بل يتعهد دراسته وملازمة وِرْد منه كل يوم، ثم أيام، ثم جمعة دائماً أبداً. ويجتهد بعد حفظه على إتقان تفسيره وسائر علومه، ثم يحفظ من كل فن مختصرا يجمع فيه بين طرفيه، ويقدم الاهم فالاهم .

ثم يشتغل باستشراح محفوظاته على المشايخ، وليعتمد في كل فن أكثرهم تحقيقا فيه وتحصيلا له، وإن أمكن شرح دروس في كل يوم فعل، وإلا اقتصر

على الممكن من درس فأقل، وقد تقدمت الإشارة إليه.

الثاني: أن يقتصر من المطالعة على ما يحتمله فهمه، وينساق إليه ذهنه، ولا يمجه طبعه، وليحذر من الاشتغال بما يبدد الفكر، ويحيِّر الذهن من الكتب الكثيرة وتفاريق التصانيف، فإنه يضيع زمانه ويفرق ذهنه.

وليعط الكتاب الذي يقرؤه والفن الذي يأخذه كليته، حتى يتقنه، حذراً من الخبط والانتقال المؤدي إلى التضييع وعدم الفلاح.

ومن هذا الباب الاشتغال بكتب الخلاف في العقليات ونحوها، قبل أن يصح فهمه، ويستقر رأيه على الحق، ويحسن ذهنه في فهم الجواب، وهذا أمر يختلف باختلاف النفوس، والإنسان فيه على نفسه بصيرة.

الثالث: أن يعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه قبل حفظه تصحيحاً متقناً على الشيخ أو على غيره ممن يعينه، ثم يحفظه حفظاً محكماً، ثم يكرره بعد حفظه تكراراً جيداً، ثم يتعاهده في أوقات يقررها لمواظبته، ليرسخ رسوخاً متأكداً، ويراعيه بحيث لا يزال محفوظاً جيداً.

ولا يحفظ ابتداء من الكتب استقلالاً من غير تصحيح، لأدائه إلى التصحيف والتحريف، وقد تقدم أن العلم لا يؤخذ من الكتب، فإنه من أضر المفاسد، لا سيما الفقه.

الرابع: أن يحضر معه القلم والممحاة للتصحيح، ويضبط ما يصححه الأستاذ لغةً وإعراباً.

الخامس: بعد أن يرتب الأهم فالأهم في الحفظ والتصحيح والمطالعة ويتقنها فليذاكر بمحفوظاته ويديم الفكر فيها، ويعتني بما يحصل فيها من الفوائد، ويذاكر بها بعض حاضري حلقة شيخه، كما سيأتي تفصيله.

السادس: أن يقسم أوقات ليله ونهاره على ما يحصله، فإن الأوراد توجب الازدياد، ويغتنم ما بقي من عمره، فإن بقية العمر لا قيمة لها.

وأجود الاوقات للحفظ الاسحار، وللبحث الابكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل وبقايا النهار.

ومما قالوه ودلت عليه التجربة: أن حفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، والمكان البعيد عن الملهيات كالأصوات والخضرة والنبات والأنهار الجاريات، وقوارع الطرق التي تكثر فيها الحركات، لأنها تمنع من خلو القلب، وتقسمه على حسب تلك الحالات.

السابع: أن يبكِّر بدرسه لقوله ﷺ: **(اغدوا في طلب العلم، فإني سألت ربي أن يبارك لأمتي في بكورها)**.

الثامن: أن يبكر بسماع الحديث ولا يهمل الاشتغال به وبعلومه، والنظر في إسناده ورجاله ومعانيه وأحكامه وفوائده ولغته وتواريخه وصحيحه وحسنه وضعيفه ومسنده ومرسله، وسائر أنواعه، فإنه أحد جناحَي العالم بالشريعة والمبين للاحكام، والجناح الآخر القرآن.

ولا يقنع من الحديث بمجرد السماع، بل يعتني بالدراية أكثر من الرواية، فإنه المقصود من نقل الحديث وتبليغه.

التاسع: أن يعتني برواية كتبه التي قرأها أو طالعها سيما محفوظاته، فإن الاسانيد أنساب الكتب. وأن يحترص على كلمة يسمعها من شيخه أو شعر ينشده أو ينشئه أو مؤلف يؤلفه، ويجتهد على رواية الامور المهمة، ومعرفة من أخذ شيخه عنه وأسناده، ونحو ذلك.

العاشر: إذا بحث محفوظاته أو غيرها من المختصرات، وضبط ما فيها من الاشكالات والفوائد المهمات، أن ينتقل إلى بحث المبسوطات وما هو أكبر مما بحثه أوّلاً، مع المطالعة المتقنة والعناية الدائمة المحكمة، وتعليق ما مرَّ به في المطالعة أو سمعه من الشيخ من الفوائد النفيسة والمسائل الدقيقة والفروع الغريبة وحل المشكلات، والفرق بين أحكام المتشابهات من جميع أنواع العلوم التي يذاكره فيها، ولا يحتقر فائدة يراها أو يسمعها في أي فن كانت، بل يبادر إلى كتابتها وحفظها.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (**قيدوا العلم**).

قيل: وما تقييده؟

قال: (**كتابته**).

وروي أن رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي ﷺ، فيسمع منه الحديث، فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال له رسول الله: (**استعن بيمينك**)، وأومأ بيده، أي خط.

ومن هنا قيل: (مَن لم يكتب علمه لم يعد علمه علماً)[1].

الحادي عشر: أن يبالغ في الجد والطلب والتشمير، ولا يقنع من إرث الأنبياء باليسير، ويغتنم وقت الفراغ والنشاط وشرخ الشباب قبل عوارض البطالة وموانع الرئاسة، فإنها أدوى الأدواء وأعضل الأمراض.

وليحذر كل الحذر من نظر نفسه بعين الكمال والاستغناء عن المشايخ، فإن ذلك عين النقص وحقيقة الجهل وعنوان الحماقة، ودليل قلة العلم والمعرفة لو تدبر.

الثاني عشر: أن يلازم حلقة شيخه بل جميع مجالسه إذا أمكن، فإن ذلك لا يزيده إلا خيراً وتحصيلاً وأدباً، واطلاعاً على فوائد متبددة لا يكاد يجدها

١- وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الكتابة أخبار أُخر في ذلك.

في الدفاتر، كما أشار إليه علي عليه السلام في حديثه السابق بقوله: **(ولا تمل من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة)**.

ولا يقتصر على سماع درس نفسه فقط، فإن ذلك علامة قصور الهمة، بل يعتني بسائر الدروس، فإنها كنوز مختلفة وجواهر متعددة، فليغتنم ما فتح له منها إن احتمل ذهنه ذلك، فيشارك أصحابها حتى كأن كل درس له، فإن عجز عن ضبط جميعها، اعتنى بالأهم فالأهم.

الثالث عشر: إذا حضر مجلس الشيخ، فليسلّم على الحاضرين بصوت يسمعهم. ويخص الشيخ بزيادة تحية وإكرام. وعدّ بعضهم حلق العلم حال أخذهم في البحث من المواضع التي لا يسلّم فيها.

واختاره جماعة من الأفاضل، وهو متجّه؛ حيث يشغلهم رد السلام عمّا هم فيه من البحث وحضور القلب كما هو الغالب، سيما إذا كان في أثناء تقرير مسألة، فإنَّ قطعه عليهم أضر من كثير من الموارد التي ورد أنه لا يسلم فيها.

لكن متى أريد ذلك، فليجلس الداخل عليهم على بعد من مقابلة الشيخ، بحيث لا يشعر به حتى يفرغ إن أمكن، جمعا بين حق الأدب معه وحق البحث في دفع الشواغل عنه.

الرابع عشر: إذا سلم لا يتخطى رقاب الحاضرين إلى قرب الشيخ إن لم

يكن منزلته كذلك، بل يجلس حيث ينتهي به المجلس، كما ورد في الحديث، فإن صرح له الشيخ أو الحاضرون بالتقدم أو كانت منزلته أو كان يعلم ايثار الشيخ والجماعة لذلك، وكان جلوسه بقربه مصلحة كأن يذاكره مذاكرة ينتفع بها الحاضرون أو لكونه كبير السن أو كثير الفضيلة والصلاح، فلا بأس.

الخامس عشر: أن يحرص على قربه من الشيخ حيث يكون منزلته، ليفهم كلامه فهماً كاملاً بلا مشقة، ولكن لا يقرب منه قربا ينسب فيه إلى سوء الأدب، ولا يضع شيئاً من ثيابه أو بدنه على ثياب الشيخ أو وسادته أو سجادته، كما مر.

واعلم أنه متى سبق إلى مكان من مجلس الدرس كان أحق به، فليس لغيره أن يزعجه منه وإن كان أحق به بحسب الأدب، قيل: ويبقى بعد ذلك أحق به كالمحترف إذا ألِف مكاناً من السوق أو الشارع، فلا يسقط حقه منه لمفارقته، وإن انقطع عن الدرس يوما أو يومين إذا حضر بعد ذلك.

السادس عشر: أن يتأدب مع رفقته وحاضري المجلس، فإن تأدبه معهم تأدب مع الشيخ واحترام لمجلسه، وليحترم كبراءه وأقرانه ورفقته.

السابع عشر: أن لا يزاحم أحداً في مجلسه، ولا يؤثر قيام أحد له من محله، فإن آثره غيره بمجلسه لم يقبله، فقد ورد أن النبي ﷺ نهى عن أن يقام الرجل

من مجلسه، ويجلس فيه آخر، وقال ﷺ: **(ولكن تفسحوا وتوسعوا)**.

نعم لوكان جلوسه في مجلس مَنْ آثره مصلحة للحاضرين، وعلم من خاطر المؤْثِر حب الايثار بالقرائن، فلابأس.

الثامن عشر: أن لا يجلس في وسط الحلقة، ولا قدام أحد لغير ضرورة، لما روي من أن النبي ﷺ، لعن من جلس وسط الحلقة.

نعم لوكان لضرورة كضيق المجلس وكثرة الزحام واستلزام تركه عدم السماع، فلا بأس به.

التاسع عشر: أن لا يجلس بين أخوين أو أب وابن أو قريبين أو متصاحبين إلا برضاهما معا، لما روي: أن النبي ﷺ نهى أن يجلس الرجل بين الرجلين إلا بإذنهما.

العشرون: ينبغي للحاضرين إذا جاء القادم أن يرحبوا به، ويوسعوا له ويتفسحوا لأجله، ويكرموه بما يُكرم به مثله، وإذا فسح له في المجلس وكان حرجا ضم نفسه ولا يتوسع، ولا يعطي أحدا منهم جنبه ولا ظهره، ويتحفظ من ذلك ويتعهد عند بحث الشيخ له، ولا يجنح على جاره، أو يجعل مرفقه قائما في جنبه، أو يخرج من بنية الحلقة بتقدم أو تأخر.

الحادي والعشرون: أن لا يتكلم في أثناء درس غيره بما لا يتعلق به أو بما

يقطع عليه بحثه، وإذا شرع بعضهم في درس، فلا يتكلم بكلام في درس فرغ ولا بغيره مما لا تفوت فائدته، إلا بإذن من الشيخ وصاحب الدرس.

الثاني والعشرون: أن لا يشارك أحد من الجماعة أحدا في حديثه مع الشيخ، ولا سيما مشاركة الشيخ. قال بعض الحكماء: (من الأدب أن لا يشارَك الرجل في حديثه)، وأنشد بعضهم في ذلك:

ولا تشارك في الحديث أهله وإن عرفت فرعه وأصله

فإن علم إيثار المتكلم بذلك، فلا بأس.

الثالث والعشرون: إذا أساء بعض الطلبة أدباً على غيره لم ينهره غير الشيخ إلا بإشارته، أو سراً بينهما على سبيل النصحية.

وإن أساء أحد أدباً على الشيخ تعيَّن على الجماعة انتهاره وردعه والانتصار للشيخ بقدر الامكان وإن أظهر الشيخ المسامحة، وفاء لحقه.

الرابع والعشرون: إذا أراد القراءة على الشيخ، فليراع نوبته تقديما وتأخيرا. فلا يتقدم عليها بغير رضا من هي له.

وروي أن أنصارياً جاء إلى النبي ﷺ يسأله، وجاء رجل من ثقيف، فقال رسول الله ﷺ: **(يا أخا ثقيف، إن الأنصاري قد سبقك بالمسألة، فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصاري قبل حاجتك)**.

قيل: ولا يؤثر بنوبته، فإن الإيثار بالقرب نقص، فإن رأى الشيخ المصلحة في ذلك في وقت فأشار به، امتثل أمره معتقداً كمال رأيه وتصويب غرضه في ذلك.

قيل: يستحب للسابق أن يقدم على نفسه من كان غريبا لتأكد حرمته ووجوب ذمته[1].

الخامس والعشرون: أن يكون جلوسه بين يدي الشيخ على ما تقدم تفصيله وهيأته في أدبه مع شيخه، ويحضر كتابه الذي يقرأ فيه معه، ويحمله بنفسه، ولا يضعه حال القراءة على الأرض مفتوحا بل يحمله بيديه ويقرأ منه.

السادس والعشرون: أن لا يقرأ حتى يستأذن الشيخ، ذكره جماعة من العلماء، فإذا أذن له استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم سمى الله تعالى وحمده وصلى على النبي وآله (صلى الله عليهم)، ثم يدعو للشيخ ولوالديه ولمشايخه، وللعلماء ولنفسه ولسائر المسلمين، وإن خص مصنف الكتاب أيضاً بدعوةٍ كان حسناً.

وكذلك يفعل كلما شرع في قراءة درس أو تكراره أو مطالعته أو مقابلته

---

١ - عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخل رجلان على أمير المؤمنين عليه السلام، فألقى لكل واحد منهما وسادة فقعد عليها أحدهما وأبى الآخر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (**اقعد عليها، فإنه لا يأبى الكرامة إلّا حمار**)، ثم قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**).

في حضور الشيخ أو في غَيبته، إلا أنه يخص الشيخ بذكره في الدعاء عند قراءته عليه، ويترحم على مصنف الكتاب كما ذكرناه.

وإذا دعا الطالب للشيخ قال: (ورضي الله عنكم أو عن شيخنا وإمامنا) ونحو ذلك قاصداً به الشيخ، وإذا فرغ من الدرس دعا للشيخ أيضاً.

ويدعو الشيخ للطالب كلما دعا له، فإن تَرَك الطالب الاستفتاح بما ذكرناه جهلا أو نسيانا نبهه عليه وعلمه إياه وذكره به، فإنه من أهم الآداب، وقد ورد الحديث بالأمر في الابتداء بالامور المهمة بتسمية الله وتحميده، وهذا من أهمها.

السابع والعشرون: ينبغي أن يذاكر من يرافقه من مواظبي مجلس الشيخ بما وقع فيه من الفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك، ويعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم، فإن في المذاكرة نفعاً عظيماً قدم على نفع الحفظ.

وينبغي الإسراع بها بعد القيام من المجلس قبل تفرق أذهانهم، وتشتت خواطرهم، وشذوذ بعض ما سمعوه عن أفهامهم، ثم يتذاكروه في بعض الأوقات، فلا شيء يتخرج به الطالب في العلم مثل المذاكرة.

فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه، وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه، ليعلق ذلك بخاطره، فإن تكرار المعنى على القلب كتكرار

اللفظ على اللسان، وقَلَّ أن يفلح من اقتصر على الفكر والتعقل بحضرة الشيخ خاصة، ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده.

الثامن والعشرون: أن تكون المذاكرة المذكورة في غير مجلس الشيخ، أو فيه بعد انصرافه بحيث لا يسمع لهم صوتاً، فإن اشتغالهم بذلك وإسماعهم له قلة أدب وجرأة، سيما إذا كان لهم معيد، فإن تصدره للاعادة في مجلس الشيخ من أقبح الصفات وأبعدها عن الآداب، اللهم إلا أن يأمره الشيخ بذلك لمصلحة يراها.

التاسع والعشرون: على الطلبة مراعاة الأدب المتقدم أو قريبا منه مع كبيرهم ومعيدهم، فلا ينازعوه فيما يقوله لهم إذا وقع منهم فيه شك، بل يترفقوا في تحقيق الحال ويتوصلوا إلى بيان الحق بحسب الإمكان، فإذا بقي الحق مشتبهاً راجعوا الشيخ فيه بلطف من غير بيان من خالف ومن وافق، مقتصرين على إرادة بيان الصواب كيف كان.

الثلاثون: يجب على من علم منهم بنوع من العلم وضرب من الكمال أن يرشد رفقته ويرغبهم في الاجتماع والتذاكر والتحصيل، ويهوّن عليهم مؤونته، ويذكر لهم ما استفاده من الفوائد والقواعد والغرائب على جهة النصيحة والمذاكرة، فبإرشادهم يبارك الله له في علمه ويستنير قلبه.

وتتأكد المسائل عنده مع ما فيه من جزيل ثواب الله تعالى وجميل نظره وعطفه، ومن بخل عليهم بشيء من ذلك كان بضد ما ذكر، ولم يثبت علمه، وإن ثبت لم يثمر، ولم يبارك الله له فيه.

وقد جرب ذلك لجماعة من السلف والخلف.

ولا يحسُدَ أحداً منهم ولا يحتقره، ولا يفتخر عليه ولا يُعجب بفهم نفسه وسبقه لهم، فقد كان مثلهم ثم مَنَّ الله تعالى عليه، فليحمد الله تعالى على ذلك ويستزيده منه بدوام الشكر، فإذا امتثل ذلك وتكاملت أهليته واشتهرت فضيلته ارتقى إلى ما بعده من المراتب، والله ولي التوفيق.

***

الباب الثاني

في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها

وفيه فصلان:

الفصل الأول

في شروطها وآدابها

اعلم أن المناظرة في أحكام الدين من الدين، ولكن لها شروط ومحل ووقت، فمَن اشتغل بها على وجهها وقام بشروطها، فقد قام بحدودها واقتدى بالسلف فيها، فإنهم تناظروا في مسائل، وما تناظروا إلا لله، ولطلب ما هو حق عند الله تعالى.

ولمن يناظر لله وفي الله علامات، بها تتبين الشروط والآداب:

الأولى: أن يقصد بها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق، لا ظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره، فإن ذلك مِراء، قد عرفت ما فيه من القبائح والنهي الأكيد. ومن آيات هذا القصد، أن لا يوقعها إلا مع رجاء التأثير، فأما إذا علم عدم قبول المناظر للحق، وأنه لا يرجع عن رأيه، وإن تبين له خطاؤه، فمناظرته غير جائزة، لترتب الآفات الآتية وعدم حصول الغاية المطلوبة منها.

الثانية: أن لا يكون ثَمَّ ما هو أهم من المناظرة، فإن المناظرة إذا وقعت على وجهها الشرعي، وكانت في واجب، فهي من فروض الكفايات، فإذا كان ثَمَّ واجب عيني أو كفائي هو أهم منها، لم يكن الاشتغال بها سائغاً.

ومن جملة الفروض التي لا قائم بها في هذا الزمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالثة: أن يكون المناظر في الدين مجتهداً، يفتي برأيه لا بمذهب أحد، حتى إذا بان له الحق على لسان خصمه انتقل إليه، فأما من لا يجتهد، فليس له مخالفة مذهب من يقلده، فأي فائدة له في المناظرة، وهو لا يقدر على تركه إن ظهر ضعفه.

الرابعة: أن يناظر في واقعة مهمة أو في مسألة قريبة من الوقوع، وأن يهتم بمثل ذلك. والمهم أن يبين الحق، ولا يطول الكلام زيادة على ما يحتاج إليه في تحقيق الحق.

الخامسة: أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه منها في المحفل والصدور، فإن الخلوة أجمع للهم وأحرى لصفاء الفكر ودرك الحق، وفي حضور الخلق ما يحرك دواعي الرئاء والحرص على الإفحام ولو بالباطل.

السادسة: أن يكون في طلب الحق كمنشد ضالة، يكون شاكراً متى وجدها، ولا يفرق بين أن يظهر على يده، أو يد غيره، فيرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق.

السابعة: أن لا يمنع معينه من الانتقال من دليل إلى دليل ومن سؤال إلى سؤال، بل يمكنه من إيراد ما يحضره، ويخرج من كلامه ما يحتاج إليه في إصابة الحق، فإن وجده في جملته أو استلزمه وإن كان غافلاً عن اللزوم، فليقبله، ويحمد الله تعالى، فإن الغرض إصابة الحق، وإن كان في كلام متهافت إذا حصل منه المطلوب.

الثامنة: أن يناظر مع من هو مستقل بالعلم، ليستفيد منه إن كان يطلب الحق، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر، خوفاً من ظهور الحق على لسانهم، ويرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم. ووراء هذه الشروط والآداب شروط أُخر وآداب دقيقة.

الفصل الثاني

في آفات المناظرة، وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام والمباهاة والتشوق، لإظهار الفضل، هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله تعالى، المحمودة عند عدوِّه إبليس، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والرئاء والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيره، نسبة الخمر إلى الفواحش الظاهرة، من الزنا والقتل والقذف. فكذلك مَن غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك إلى إظهار الخبائث كلها.

فأولها: الاستكبار عن الحق وكراهته، والحرص على مدافعته بالمماراة فيه، حتى أن أبغض الاشياء إلى المناظر أن يظهر الحق على لسان خصمه، ثم تصير المماراة له عادة وطبيعة، حتى لا يسمع كلاماً إلا وتنبعث داعيته للاعتراض عليه، وقد سوّى الله تعالى بين من افترى على الله كذباً، وبين من كذب بالحق، فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ**﴾ وهو كِبْر أيضاً، لما تقدم من أنه عبارة عن رد الحق على قائله، والمراء يستلزم ذلك.

وثانيها: الرئاء، وملاحظة الخلق ،والجهد في استمالة قلوبهم، وصرف وجوههم نحوه، ليصوِّبوا نظره، وينصروه على خصمه. وهذا هو عين الرئاء، بل بعضه، والرئاء هو الداء العضال ،والمرض المخوف، والعلة المهلكة، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾. قيل: هم أهل الرئاء.

وثالثها: الغضب، والمناظر لا ينفك منه غالباً، سيما إذا ردَّ عليه كلامه، أو اعترض على قوله وزيَّف دليله بمشهد من الناس، فإنه يغضب لذلك لامحالة، وغضبه قد يكون بحق، وقد يكون بغير حق، وقد ذم الله تعالى ورسوله الغضب كيف كان، وأكثرا من التوعد عليه: قال الله تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ**﴾، فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب، ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة.

ورابعها: الحقد، وهو نتيجة الغضب، فإن الغضب إذا لزم كظمه، لعجزه عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً.

ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغض له والنفار منه، وقد قال ﷺ: **(المؤمن ليس بحقود)**. فالحقد ثمرة الغضب، والحقد يثمر أموراً فاحشةً: كالحسد، والشماتة بما يصيبه من البلاء، والهجر والقطيعة، والكلام فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر، وهتك ستر وغيره، والحكاية لما يقع منه المؤدي إلى الاستهزاء والسخرية منه.

وخامسها: الحسد، وهو نتيجة الحقد، والحقد نتيجة الغضب كما مر. والمناظر لا ينفك منه غالباً، فإنه تارة يَغلب، وتارة يُغلَب، وتارة يُحمد في كلامه، وتارة يُحمد كلام غيره، ومتى لم يكن الغلب والحمد له تمناه لنفسه دون صاحبه، وهو عين الحسد، فإن العلم من أكبر النعم، فإذا تمنى أحد كون ذلك الغلب ولوازمه له فقد حسد صاحبه. وهذا أمر واقع بالمتناظرين إلا من عصمه الله تعالى، وقد قرن الله تعالى الحاسد بالشيطان والساحر، فقال: **﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾**، وقال ﷺ: **(الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)**.

وسادسها: الهجر والقطيعة، وهو أيضا من لوازم الحقد، فإن المتناظرين إذا ثارت بينهما المنافرة، وظهر منهما الغضب وادعى كل منهما أنه المصيب،

وأن صاحبه المخطئ، واعتقد وأظهر أنه مصِرٌّ على باطله مزمع على خلافه، لزم من حقده عليه وغضبه هجره وقطيعته، وذلك من عظائم الذنوب وكبائر المعاصي. قال رسول الله ﷺ: **(أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً، لا يصطلحان، إلا كانا خارجَيْن من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، وأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب)**.

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: **(لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق كلاهما)**. فقال له معتب: جعلني الله فداك هذا الظالم، فما بال المظلوم؟ قال: **(لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته، ولا يتغامسُ له عن كلامه، سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان فعازَّ أحدهما الآخر، فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإن الله تبارك وتعالى حَكَم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم)**.

وسابعها: الكلام فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وغيرهما، وهو من لوازم الحقد، بل من نتيجة المناظرة، فإن المناظر لا يخلو عن حكاية كلام صاحبه في معرض التهجين، والذم والتوهين فيكون مغتاباً، وربما يحرف كلامه، فيكون كاذباً مباهتاً ملبساً، وقد يصرح باستجهاله واستحماقه، فيكون متنقصاً مسبباً.

وكل واحد من هذه الأمور ذنب كبير، والوعيد عليه في الكتاب والسنة

كثير، يخرج عن حد الحصر. وكفاك في ذم الغيبة أن الله تعالى شبهها بأكل الميتة، فقال تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾. وقال النبيﷺ: (**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**).

والغيبة تتناول العرض. وقالﷺ: (**إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل قد يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه**).

وثامنها: الكِبْر والترفع، والمناظرة لا تنفك عن التكبر على الأقران والأمثال، والترفع فوق المقدار في الهيئات والمجالس، وعن إنكار كلام خصمهم، وإن لاح كونه حقاً، حذراً من ظهور غلبتهم. ولا يصرحون عند ظهور الفَلَج عليهم بأنا مخطئون وأن الحق قد ظهر في جانب خصمنا. وهذا عين الكبر الذي قد أخبر عنه النبيﷺ بأنه: (**لا يدخل الجنة من في قلبه منه مثقال**)، وقد فسرهﷺ في الحديث السابق، بأنه بَطَر الحق وغَمْص الناس. والمراد بـ (بطر الحق): رده على قائله، وعدم الاعتراف به بعد ظهوره، و(غمص الناس): احتقارهم.

وهذا المناظر قد ردَّ الحق على قائله بعد ظهوره له، وإن خفي على غيره، وربما احتقره حيث يزعم أنه محق، وأن خصمه هو المبطل الذي لم يعرف الحق.

وتاسعها: التجسس وتتبع العورات، والمناظر لا يكاد يخلو عن طلب عثرات مناظره في كلامه وغيره ليجعله ذخيرة لنفسه، ووسيلة إلى تسديده وبراءته أو دفع منقصته، حتى أن ذلك قد يتمادى بأهل الغفلة ومَن يطلب علمه للدنيا، فيتفحص عن أحوال خصمه وعيوبه، ثم إنه قد يعرض به في حضرته، أو يشافهه بها، وربما يتبجح به، ويقول: كيف أخملته وأخجلته، إلى غير ذلك مما يفعله الغافلون عن الدين وأتباع الشياطين، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾.

وقال ﷺ: (**يا معشر مَن آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين، فمَن تتبع عورة مسلم تتبع الله عورته، ومَن تتبع الله عورته فضحه، ولو في جوف بيته**).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (**أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجلُ الرجلَ على الدين ، فيحصي عليه زلّاته ليعيِّره بها يوماً ما**).

وعاشرها: الفرح بمساءة الناس والغم بسرورهم، ومَن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، فهو ناقص الإيمان، بعيد عن أخلاق أهل الدين. وهذا غالب بين من غلب على قلبه محبة إفحام الأقران وظهور الفضل على الإخوان.

وحادي عشرها: تزكية النفس والثناء عليها، ولا يخلو المناظر من الثناء

على نفسه إما تصريحاً، أو تلويحاً وتعريضاً، بتصويب كلامه وتهجين كلام خصمه. وكثيراً ما يصرح بقوله: (لستُ ممن يخفى عليه أمثال هذا)،ونحوه، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ**﴾.

وقيل لبعض العلماء: (ما الصدق القبيح ؟ قال: ثناء المرء على نفسه).

واعلم أن ثناءك على نفسك مع قبحه ونهي الله تعالى عنه، ينقص قدرك عند الناس، ويوجب مقتك عند الله تعالى، وإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك، فانظر إلى أقرانك إذا أثنوا على أنفسهم.

وثاني عشرها: النفاق، والمتناظرون يضطرون إليه، فإنهم يلقون الخصوم والأقران وأتباعهم بوجه مسالم، وقلب منازع، وربما يظهرون الحب والشوق إلى لقائهم، وفرائصهم مرتعدة في الحال من بغضهم، ويعلم كل واحد من صاحبه أنه كاذب فيما يبديه، مضمر خلاف ما يظهره.

وقد قال ﷺ: (**إذا تعلَّم الناسُ العلمَ وتركوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله عند ذلك، فأصمهم وأعمى أبصارهم**).

فهذه اثنتا عشرة خصلة مهلكة، أولها الكِبْر المحرِّم للجنة، وآخرها النفاق الموجب للنار، والمتناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم.. نسأل الله العافية.

الباب الثالث

في آداب الكتابة والكتب

وهي آلة العلم، وما يتعلق بتصحيحها وضبطها ووضعها وحملها وشرائطها وعاريتها وغير ذلك. وقد ورد في الحث على الكتابة والوعد بالثواب الجزيل على فعلها كثير من الآثار:

فمنها: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (**قيدوا العلم**). قيل: وما تقييده؟ قال: (**كتابته**).

وروي: أن رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي صلى الله عليه وآله يستمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال له النبي: (**استعن بيمينك**)، وأومأ بيده، أي خط.

وعن الحسن بن علي عليهما السلام: أنه دعا بنيه وبني أخيه، فقال: (**إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته**).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: (**اكتبوا؛ فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا**).

وعنه عليه السلام قال: (**القلبُ يتّكل على الكتابة**).

وعن عبيد بن زرارة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: (**احتفظوا بكتبكم، فإنكم سوف تحتاجون إليها**).

وعن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: (**اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مِتَّ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم**).

وروى الصدوق في أماليه بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (**إن المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم كانت الورقة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تعالى بكل حرف مدينة أوسع من الدنيا وما فيها، ومن جلس عند العالم ساعة ناداه الملك: جلستَ إلى عبدي، وعزتي وجلالي لأسكننك الجنة معه ولا أبالي**).

الثانية: يجب على الكاتب إخلاص النية لله تعالى في كتابته، كما يجب إخلاصها في طلبه العلم، لأنها عبادة وضرب من تحصيل العلم وحفظه، والقصد بها لغير الله تعالى من حظوظ النفس والدنيا كالقصد بالعلم، وقد تقدم من ذمه ووعيده ما فيه كفاية.

ويزيد عنه خيراً أو شراً أنه موقَّع بيده ما يكون يوم القيامة حجة له أو

عليه، فلينظر ما يوقعه، ويترتب على خطه ما يترتب من خير أو شر، ومن سُنة أو بدعة يعمل بها في حياته وبعد موته دهراً طويلاً، فهو شريك في أجر من ينتفع به أو وزره، فلينظر ما يسببه.

ويعلم من ذلك أن ثواب الكتابة ربما زاد على ثواب العلم في بعض الموارد، بسبب كثرة الانتفاع به ودوامه، ومن هنا جاء تفضيل مداد العلماء على دماء الشهداء حيث إن مدادهم ينفع بعد موتهم، ودماء الشهداء لا تنفع بعد موتهم.

الثالثة: ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها في العلوم النافعة ما أمكنه بكتابة أو شراء، وإلا فبإجارة أو عارية، لأنها آلة التحصيل، وكثيراً ما تدرب بها الأفاضل في الأزمنة السابقة، وحصل لهم بواسطتها ترق زائد على من لم يتمكن منها، ولهم في ذلك أقاصيص يطول الأمر بشرحها. ولا ينبغي للطالب أن يجعل تحصيلها وجمعها وكثرتها حظه من العلم، ونصيبه من الفهم، بل يحتاج مع ذلك إلى التعب والجد والجلوس بين يدي المشايخ.

ولقد أحسن القائل:

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

الرابعة: أن لا يشتغل بنسخها إن أمكنه تحصيلها بشراء ونحوه، لأن الاشتغال بتحصيل العلم أهم. نعم لو تعذر الشراء لعدم الثمن أو لعزة الكاتب، فليكتب لنفسه، ولا يرضى بالاستعارة مع إمكان تملكه ومتى آل الحال إلى النسخ فليشمر له، فإن الله يعينه ولا يضيع به حظه من العلم، ولا يفوت الحظ إلا بالكسل. ومن ضبط وقته حصل مطلبه.

الخامسة: يستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها استحباب مؤكد، لما فيه من الإعانة على العلم والمعاضدة على الخير والمساعدة على البر والتقوى، مع ما في مطلق العارية من الفضل والأجر.

وقد قال بعض السلف: (بركة العلم إعارة الكتب). وقال آخر: (مَن بخل بالعلم ابتلي بإحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت فلا ينتفع به، أو تذهب كتبه).

وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ذلك لأحسانه ويجزيه خيراً.

السادسة: إذا استعار كتاباً وجب عليه حفظه من التلف والتعيب، وأن لا يلط به ولا يطل مقامه عنده، بل يرده إذا قضى حاجته، ولا يحبسه إذا استغنى عنه، لئلا يفوت الانتفاع به على صاحبه، ولئلا يكسل عن تحصيل الفائدة منه، ولئلا يمنع صاحبه من إعارة غيره إياه. وأما إذا طلبه المالك حرم عليه حبسه ويصير ضامناً له، وقد جاء في ذم الإبطاء برد الكتب عن السلف

أشياء كثيرة نظماً ونثراً، وبسبب حبسها والتقصير في حفظها امتنع غير واحد من إعارتها.

السابعة: لا يجوز أن يصلح كتاب غيره المستعار أو المستأجر بغير إذن صاحبه، ولا يحشيه، ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه وخواتمه، إلا إذا علم رضا مالكه، وهو كما يكتبه المحدث على جزء سمعه، ولا يسوِّده، ولا يعيره غيره، ولا يودعه لغير ضرورة حيث يجوز شرعاً، ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه، فإن النسخ انتفاع زائد على الانتفاع بالمطالعة وأشق. فإن كان الكتابُ وقفاً على مَن ينتفع به غير معين، فلا بأس بالنسخ منه لمن يجوز له إمساكه والانتفاع به مع الاحتياط.

ولا بأس بإصلاحه ممن هو أهل لذلك من الناظر فيه أو من يأذن له، بل قد يجب، فإن لم يكن له ناظر خاص، فالنظر فيه إلى الحاكم الشرعي. وإذا نسخ منه بإذن صاحبه أو ناظره، فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه، ولا يضع المحبرة عليه، ولا يمر بالقلم الممدود فوق الكتابة.

وبالجملة فيجب حفظه من كل ما يُعدّ عرفاً تقصيراً، وهو أمر زائد على حفظ الإنسان كتابه، فقد يجوز فيه ما لا يجوز في المستعار، خصوصاً المتهاون بحفظ الكتب، فإن كثيراً من الناس يمتهن كتابه في الغاية بسبب الطبع البارد، وهذا الأمر لا يسوغ في المستعار بوجه.

الثامنة: إذا نسخ من الكتاب أو طالعه، فلا يضعه على الأرض مفروشاً منشوراً، بل يجعله بين كتابين مثلاً، أو كرسي على الوجه المعروف، لئلا يسرع تقطيع حبكه وورقه وجلده.

التاسعة: إذا وضع الكتب مصفوفة، فلتكن على كرسي، أو تحتها خشب أو رِقٌّ ونحو ذلك، والأولى أن يكون بينها وبين الأرض خلو، ولا يضعها على الأرض كي لا تتندى أو تبلى. وإذا وضعها على خشب أو نحوه جعل فوقها وتحتها ما يمنع من تآكل جلودها به، وكذلك يجعل بينها وبين ما يصادمها أو يسندها من حائط أو غيره.

ويراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها وشرف مصنفها، فيضع الأشرف أعلى الكل، ثم يراعي التدريج، فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار أو وتد في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس، ثم كتب الحديث الصِّرْف، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم العربية.

ولا يضع ذات القطع الكبير فوق ذوات الصغير، لئلا يكثر تساقطها، ولا يُكثر وضع الردة في أثنائه لئلا يسرع تكسرها. وينبغي أن يكتب اسم الكتاب عليه في جانب آخر الصفحات من أسفل، وفائدته معرفة الكتاب

وتيسُّر إخراجه من بين الكتب.

العاشرة: أن لا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها، ولا مِخدة ولا مروحة ولا مِكنساً ولا مستنداً ولا متكأً ولا مقتلةً للبراغيث وغيرها، لا سيما في الورق. ولا يطوي حاشية الورقة أو زاويتها، ولا يعلِّم بعود أو بشيء جاف، بل بورقة لطيفة ونحوها، وإذا ظفر فلا يكبس ظفره قوياً.

الحادية عشرة: إذا استعار كتاباً ينبغي له أن يتفقده عند أخذه ورده، وإذا اشترى كتاباً تعهد أوله وآخره ووسطه، وترتيب أبوابه وكراريسه، وتصفح أوراقه واعتبر صحته، ومما يغلب على ظنه صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه أن يرى إلحاقاً أو إصلاحاً، فإنه من شواهد الصحة.

الثانية عشرة: إذا نسخ شيئاً من كتب العلم الشرعية، فينبغي أن يكون على طهارة مستقبلاً، طاهر البدن والثياب والحبر والورق، ويبتدئ الكتاب بكتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) و(الحمد لله والصلاة على رسوله وآله) وإن لم يكن المصنف قد كتبها، لكن إن لم تكن من كلام المصنف أشعر بذلك، بأن يقول بعد ذلك: (قال المصنف أو الشيخ)، ونحو ذلك.

وكذلك يختم الكتاب بالحمدلة والصلاة والسلام، بعدما يكتب: (آخر الجزء الفلاني، ويتلوه كذا وكذا) إن لم يكن كمل الكتاب، ويكتب إذا كمل:

(تم الكتاب الفلاني، أو الجزء الفلاني، وبتمامه تم الكتاب) ونحو ذلك، ففيه فوائد كثيرة.

وكلما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم، مثل: (تعالى، أو سبحانه، أو عزّ وجل)، ويتلفظ بذلك أيضاً، وكلما كتب اسم النبي ﷺ كتب بعده الصلاة عليه وعلى آله والسلام، ويصلي ويسلم هو بلسانه أيضاً.

ولا يختصر الصلاة في الكتاب، ولا يسأم من تكريرها ولو وقعت في السطر مراراً كما يفعل بعض المحرومين المتخلفين من كتابة (صلعم) أو (صلم) أو (صم) أو (صلسم) أو (صله) أو ﷺ، فإن ذلك كله خلاف الأولى والمنصوص، بل قال بعض العلماء: (إن أول من كتب (صلعم) قطعت يده).

وأقل ما في الاخلال بإكمالها تفويت الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: (**من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب**).

وإذا مر بذكر أحد من الصحابة سيما الأكابر كتب (رضي الله عنه) أو (رضوان الله عليه) أو بذكر أحد من السلف الأعلام كتب (رحمه الله) أو (تغمده الله برحمته) ونحو ذلك.

وقد جرت العادة باختصاص الصلاة والسلام بالأنبياء، وينبغي أن

يجعل للأئمة عليهم السلام السلام، وإن جاز خلاف ذلك كله، بل يجوز الصلاة على كل مؤمن، كما دل عليه القرآن والحديث.

الثالثة عشرة: لا يهتم المشتغل بالعلم بالمبالغة في حسن الخط، وإنما يهتم بصحته وتصحيحه. وينبغي أن يجتنب الكتابة الدقيقة، لأنه لا ينتفع بها، أو لا يكمل الانتفاع بها لمن ضعف نظره، وربما ضعف نظر الكاتب نفسه بعد ذلك، فلا ينتفع بها.

وقال بعضهم: (اكتب ما ينفعك وقت احتياجك إليه، ولا تكتب ما لا تنتفع به وقت الحاجة)، أي وقت الكبر وضعف البصر.

الرابعة عشرة: ينبغي أن لا يقرمط الحروف ويأتي بها مشتبهة بغيرها، بل يعطي كل حرف حقه، وكل كلمة حقها، ويراعي من الآداب الواردة في ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (**إذا كتبتَ "بسم الله الرحمن الرحيم" فبيّن السين فيه**). وقال صلى الله عليه وآله: (**لا تمد الباء إلى الميم حتى ترفع السين**). وعنه صلى الله عليه وآله: (**إذا كتب أحدكم "بسم الله الرحمن الرحيم" فليمد الرحمن**). وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: (**مَن كتب "بسم الله الرحمن الرحيم" فجوَّده تعظيماً لله غفر الله له**).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (**تنَوَّق رجل في "بسم الله الرحمن الرحيم" فغفر له**).

الخامسة عشرة: لا بأس بكتابة الحواشي والفوائد والتنبيهات المهمة على غلط أو اختلاف رواية أو نسخة، أو نحو ذلك، على حواشي كتاب يملكه، أو لا يملكه بالإذن.

ولا ينبغي أن يكتب إلا الفوائد المهمة المتعلقة بذلك المحل، ولا يسوده بنقل المباحث والفروع الغريبة، كما اتفق لبعض غفلة أهل هذا العصر الذين لم يقفوا على مصطلح العلماء، فأفسدوا أكثر الكتب. ولا ينبغي الكتابة في الأسطر مطلقاً.

***

هذا آخر ما اخترناه من كتاب شيخنا العلّامة الشهيد الثاني (أعلى الله مقامه)، سائلاً المولى العلي القدير أن يوفق الجميع للعلم والعمل الصالح، إنه ولي ذلك.

وكان آخر ما رسمته في ليلة الجمعة الرابع والعشرون من المحرم الحرام سنة ١٤٣٥ من الهجرة النبوية على مهاجرها آلاف التحية والسلام.

وأنا الأقل
أحمد نجل الشهيد السعيد الشيخ عبد الرضا الصافي

الفهرس

مقدمة الناشر ٣

مقدمة المؤلف ٥

الفصل الأول: في فضل العلم والعلماء والمتعلمين من القرآن الكريم ٧

الفصل الثاني: فيما روي عن النبي ﷺ في فضل العلم والعلماء ١١

الفصل الثالث: في فضل العلم من الكتب السالفة والحِكَم القديمة ٢٥

الفصل الرابع: في فضل العلم من الآثار وتحقيقات بعض العلماء ٢٧

الفصل الخامس: في الدليل العقلي على فضل العلم ٢٨

الباب الأول: في آداب المعلم والمتعلم ٢٩

النوع الأول: آداب اشتركا فيها ٢٩

القسم الأول: آدابهما في أنفسهما ٢٩

القسم الثاني: آدابهما في درسهما واشتغالهما ٤٧

النوع الثاني: آداب يختص بها المعلم ٥٤

القسم الأول: آدابه في نفسه مضافة إلى ما تقدم ٥٥

القسم الثاني: في آداب المعلم مع طلبته ٦١

القسم الثالث: آدابه في درسه ٧٥

النوع الثالث: في الآداب المختصة بالمتعلم ٩٠

القسم الأول: آدابه في نفسه ٩٠

القسم الثاني: آدابه مع شيخه وقدوته وما يجب عليه من تعظيم حرمته ٩٧

عزة نفس المعلم ١٢٥

القسم الثالث: آدابه في درسه وقراءته ١٢٧

الباب الثاني: في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها ١٤٠

الفصل الأول: في شروطها وآدابها ١٤٠

الفصل الثاني: في آفات المناظرة، وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق ١٤٢

الباب الثالث: في آداب الكتابة والكتب ١٤٩